

بيت ميت

- ۱ -

تصميم الغلاف
عبد الله القصير



بيت هيت

تأليف : ناظم حكمت

ترجمة: جوزيف ناشف

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

Beit Montaj İlişkisi

الكاتب: Nâzım Hikmet Ran

المترجم: جوزيف ناشف

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبر
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

مسرحية كوميدية ضاحكة في (٣) فصول و(١١) مشهداً

الشخصيات

ابن ولي أفندي	ولي أفندي
المريد الأول	الأحدب
المريد الثاني	فيروز
الشاب الأول	الأخ الأكبر
الشاب الثاني	المسافر المتطفل
العجوز الأول	مليح
العجوز الثاني	والدة الأحدب
مدير المصرف	فتاة
الشيخ الأول	المربية
الحارس	الطبيب
الشيخ عاصم	بائع الخضراوات
القوميسير (ضابط شرطة)	المرأة المغطاة الرأس
	والدة الأخ الأكبر
	الفتاة الخادمة

(هذه المسرحية قدّمت في الموسم المسرحي لعام ١٩٣٢ في دار البلدية،
ووزعت الأدوار الرئيسة على النحو الآتي):

ولي أفندي... به زاد

الأحدب... غالب

فيروز... وصفي رضى

الأخ الأكبر... كمال

المسافر المتطفل... حازم

مليح... طلعت

والدة الأحدب... نورا نور

الفتاة... بديعة

المربية... خالدة

الطبيب... بليغ

بائع الخضراوات... محمود

المرأة المغطاة الرأس... شادية

والدة الأخ الأكبر... هوليا

(الطبعة الأولى عام ١٩٣٢)

الفصل الأول

المشهد الأول

(عتبة حجرية لباب يفضي إلى الشارع، هناك درج ينزل من الطابق العلوي إلى العتبة الحجرية... الفصل صيف... الوقت صباحاً... المطر يهطل في الخارج... يسمع صوت رنين جرس الباب عدة مرات... تنزل الخادمة مضطربة، وجهها أصفر، وعيناها محمرتان دامعتان حديثاً... الخادمة تفتح الباب، ويدخل الابن الثاني للمرحوم... الابن الثاني أحذب... قد ارتدى ثياباً أنيقة، ويضع على عينيه نظارة (منوكل)... في الخامسة والعشرين من العمر قد رفع ياقة سترته... ثيابه مبللة قليلاً... يبقى الباب مفتوحاً نوعاً ما).

الأحذب: لقد تبللت... إنه مطر صيفي (يداعب خد الخادمة) كيف أنت يا جميلتي؟

الخادمة: (تتملص منه) أيها السيد الصغير...

الأحذب: (يداعب الخادمة أكثر) يا حياتي...

الخدمة : لا... لا تفعل ذلك...

الأحدب : أعطني قُبْلَةً... (يقرب من الخدمة أكثر) كيف أبي؟
(الخدمة تحاول الابتعاد عنه مضطربة) حتما هو غاضب
مني كثيراً لأني لم أزره منذ أربعة أيام... يا حياتي... هل
حضر الطبيب؟

الخدمة : (تصيح) آه أيها السيد الصغير... (تبدأ بالبكاء)

الأحدب : لقد افتقدتك... (يحاول أن يقبل الخدمة من شفيتها
التي تحاول التخلص من بين ذراعيه)

الخدمة : دعني.

(الأحدب يقبل الخدمة من شفيتها... يسمع صوت
صياح والدة الأحدب من الطابق العلوي)

الخدمة : دعني...

صوت والدة الأحدب: خرب بيتنا... احترقنا... دعني أيها الطبيب
(الأحدب حين يسمع صياح والدته يحار، ويضطرب،
فيترك الخدمة... تسرع الخدمة نحو الدرج)

الخدمة : (تصرخ مضطربة، وتبكي) سيدتي... السيد الصغير...

والدة الأحذب: (تنزل الدرج بسرعة) يا ولدي... لقد خرب بيتنا...

لقد رحل... طار مثل العصفور، ورحل.

(تلقي بنفسها على ولدها الذي يقف مضطرباً...)

الطبيب ينزل الدرج)

الطبيب : سيدتي المحترمة... أرجوك...

والدة الأحذب: (تبكي، وهي تعانق الأحذب) أبوك... أبوك

العزيز...

الأحذب : أبي؟ ماذا حدث؟ أبي... يا حضرة الطبيب «يرتعش

صوت الأحذب»

الطبيب : قبل ربع ساعة... زحف الشلل فجأة نحو القلب...

الأحذب : أمي الحبيبة... (يبدأ بالبكاء)

(والدة الأحذب تستمر في البكاء... الخادمة جالسة على

الدرج... تنورتها مرتفعة... جوربها الأسود الحريري

يكشف عن ساقها... نسمع نهيق حمار من الخارج).

صوت بائع الخضراوات: (من الخارج) هش أيها الولد الأسود...

الأحذب : (يتخلص من ذراعي أمه، ويسرع كالمجنون نحو

الدرج) أبي...

(والدة الأحدب تسرع خلف ولدها... يظهر بائع الخضراوات في الباب، وهو يحمل في يده الباذنجان... يدخل إلى الداخل... يتوقف المطر في الخارج... الطيب، والأحدب، ووالدة الأحدب يخنفون في أعلى الدرج)

بائع الخضراوات: (يتقدم مضطرباً فوق العتبة) يا ست زهرة... الخادمة : (فجأة تصاب بالفرع) من؟ آه لقد أفرعتني... أهذا أنت يا شعبان آغا؟

بائع الخضراوات: خيراً؟ ماذا حدث؟ الخادمة : (تبكي) سيدي العزيز...

بائع الخضراوات: لا تقولي... لقد كان البارحة يناديني من النافذة صائحاً: الباذنجان الذي أحضرته «مبذر» رحمة الله عليه... كيف حدث ذلك؟

الخادمة : لقد أصابته نوبة في الليل... لم يغمض له جفن حتى الصباح... وقبل قليل أحضرت له الحليب في صينية إلى غرفته، وقد كان الطيب، والسيدة المحترمة هناك...

بائع الخضراوات: آه من معشر الأطباء... لقد وضعوا زوجتي، وهي تصيح على طاولة العمليات...

قتلوا تحت السكين... (ينهق الحمار في الخارج)

الخادمة : لقد مات دون أن ينبس بأيّ كلمة... آه كم الموت سيّء... (تبدأ بالبكاء)

بائع الخضراوات: مضت ثلاثة أشهر وهو في الفراش...

الخادمة : والأطباء يقولون سيتحسن...

بائع الخضراوات: آه من معشر الأطباء...

الخادمة : بقيت جامدة في منتصف الغرفة، والصينية في يدي...
مات وهو ينظر إلى عيني... هه لن أنسى ذلك طوال حياتي.

صوت امرأة: (من الخارج) هي... يا بائع الخضراوات... أين أنت؟ هي... يا سيد...

بائع الخضراوات: (للخادمة) ماذا يقال؟ نصيب...

صوت المرأة: (من الخارج) يا بائع الخضراوات... هي...

بائع الخضراوات: (للخادمة) البقية بعمرك... رحمة الله الواسعة عليه... متى سيشتيع؟

الخادمة : لا أدري... (تبكي) يا سيدي العزيز... يا سيدي
العزيز...

صوت المرأة: (من الخارج) هي... يا سيد... يا بائع الخضراوات...
بائع الخضراوات: (يتجه نحو الباب، وهو يخرج) إنني قادم
يا سيدتي... جيد أنك لم تنفجري.

الخادمة : (مستمرة بالبكاء) سيدي الغالي... سيدي الغالي...
(تصعد الدرج وهي تبكي)
(صمت)

صوت بائع المخلل: (من الخارج) مخلل فليفلة، ويخنة؟
(المسافر المتطفل ينظر من فتحة الباب، وهو يحمل في يده
مظلة، ثم يدخل... يظهر الأخ الأكبر خلف المسافر...
وجهه صارم... ثيابه أنيقة، ونظيفة... يرتدي معطفاً)

الأخ الأكبر: (للمسافر المتطفل) من تريد؟

المسافر المتطفل: (وهو يفسح الطريق للأخ الأكبر) لا شيء...
الأخ الأكبر: لماذا كنت تنظر إلى الداخل؟

المسافر المتطفل: لا شيء...
-١٢-

(الأخ الأكبر يتأمل الرجل من رأسه إلى أخمص قدميه...)

يدخل، ويغلق الباب بقوة في وجه المسافر).

الأخ الأكبر: (يصيح بعصبية) زهرة... زهرة...

(تظهر الخادمة برأس الدرج)

الأخ الأكبر: (صائحاً) لقد تركت الباب مفتوحاً على مصراعيه

مرة أخرى... لو أنهم حاولوا سرقة البيت فلن

تشعروا... قبل قليل كان أحدهم هنا، ولا أعرف إن

كان لصاً، أو ما شابه ذلك.

الأحدب: (يظهر على الدرج) أخي الكبير...

الأخ الأكبر: نعم... ماذا تريد؟

(يرن جرس الباب)

الأحدب: (بصوت مرتجف) أبي...

(يرن جرس الباب مرة أخرى... تذهب الخادمة

لفتح الباب)

الأخ الأكبر: (باهتمام) نعم؟

الأحدب: (باكياً) مات...

(تكون الخادمة قد فتحت الباب... يدخل المسافر المتطفل غاضباً)

المسافر المتطفل: (للأخ الأكبر) يا سيد... يا سيد... انظر إلي... أنا لست سارقاً، أو ما شابه ذلك... انتبه لما تقول.
(الأخ الأكبر يمسك بتلابيب المسافر المتطفل، ويلقيه خارجاً)

الأخ الأكبر: (للخادمة) أغلقي الباب... (يصعد الدرج)
المسافر المتطفل: (من الخارج) أنت السارق، أو ما شابه ذلك...
يا حمار بن حمار.

(يتوقف الأخ الأكبر عن الصعود، ويريد العودة، ولكنه يعدل عن الفكرة، ويمضي)

صوت بائع المخلل: (من الخارج)... مخلل فليفلة، ويخنه.

المشهد الثاني

(صالون البيت في أحد الجوانب نجد باب غرفة الميت، وفي الجانب المقابل نجد باب غرفة أخرى... في العمق نجد نهاية الدرج القادم من العتبة الحجرية... على الجدار المقابل مرآة كبيرة... والدة الأحدب جالسة على مقعد أمام باب الغرفة المواجهة، وتقف إلى جانبها المريية تدلك ذراعي سيدتها بالحمض... يخرج الأخ الأكبر، الطبيب، وخلفها الأحدب من باب غرفة الميت).

الأخ الأكبر: لم أكن أنتظر أن يحدث هذا فجأة، وبهذه السرعة.

الطبيب: (بصفاء) الحياة جنزير للأشياء غير المتوقعة.

الأخ الأكبر: كلام (للأحدب) هل أبلغتم طبيب البلدية؟

الأحدب: كلا...

الأخ الأكبر: يجب أن تخبره بالهاتف فوراً. وبلغ السيد ولي ليحضر.

والدة الأحدب: (تقفز من مكانها) دعوني (ببكاء متحشرج) أريد

أن أراه مرة أخرى.

(تسرع نحو باب غرفة الميت... يقف الأحذب في
وجهها ممانعاً إياها)
الأحذب: أمّاه... لا تفعلي ذلك...
والدة الأحذب: ابتعد...
الأخ الأكبر: دع أمك...
الأحذب: ولكن يا أخي الكبير...
الأخ الأكبر: (يدفع الأحذب... لوالدة الأحذب) ادخلي يا سيدتي
العزيزة...
والدة الأحذب: (تحاول أن تفتح الباب، ولكنها تتوقف) لن
أستطيع الدخول... آه المصائب تتوالى...
(المرية والأحذب، والطبيب يمسكونها)
المرية: لا تزعجي نفسك يا سيدتي المحترمة.
والدة الأحذب: (تبكي بحسرة)
الأخ الأكبر: (للأحذب) خذ السيدة العزيزة إلى غرفتها...
والدة الأحذب: لن أذهب... لا أريد... سأبقى هنا... دعوني أبق
أمام باب غرفته...

الطبيب : سيدتي العزيزة... أرجوك...

والدة الأحذب: (للأحذب) تعال إلى جانبي يا صغيري... اقترُب

من أمك... (يقترُب الأحذب من والدته) عانقني...

الأخ الأكبر: (للطبيب) أرجوك أن تقدر الوضع... أنا سأخبر

البلدية (للمربية) وأنت يا ست عائشة أبحثي عن

ولي، وأنا سأخبر والدتي، وجودها هنا ضروري...

(يخرج الأخ الأكبر)

والدة الأحذب: (للمربية التي تدلك ذراعها بالحمض) اتركيني...

آه... المصائب تتوالى (تضرب رأسها بالبواب) يا زوجي

العزيز... يا زوجي العزيز... (تبكي) لا أريد... لا أريد

أن تحضر... لا أريد تطأ بقدميها هذا المكان (تضرب

رأسها مرة أخرى بالبواب) لمن تركتني، ورحلت؟

المربية : سيدتي المحترمة...

الطبيب : سيدتي العزيزة... أرجوك...

الأحذب : أماه... إنه أخي الكبير...

والدة الأحذب: أنى له أن يكون أخاك؟ لا أحد يعرف من أين أتت

به تلك المرأة؟ لقد كان والدك رجلاً يشبه الملاك...

(تبكي) يا زوجي العزيز... يا زوجي العزيز... أي شيء في ذلك الجلف يشبه والدك؟ (تضرب برأسها الباب مرة أخرى) استيقظ... لماذا رحلت، ولم تأخذني معك؟ كان يجب أن أموت بدلاً منك... (تبكي)

الأحدب: (للطبيب) يا حضرة الطبيب إن والدتي تعاني بعض المتاعب...

الطبيب : إنها نوبة عصبية... يجب أن تنام (يبدأ في كتابة وصفة طبية) يجب أخذها إلى الغرفة المقابلة (ينتهي من كتابة الوصفة، ويمدها للأحدب) أحضروا هذه الأدوية بسرعة (لوالدة الأحدب) سيدتي العزيزة... أرجوك... هيا.

(والدة الأحدب تقف متألّمة، وهي تتمتم «دعوني... دعوني» وبمساعدة الطبيب، والمربية، والأحدب تدخل إلى الغرفة المقابلة).

(صمت)

(المربية، والأحدب يخرجان من الباب الذي دخلا منه، ويقفان عند العتبة).

المربية : سيدي الصغير، وأنت في طريقك إلى الصيدلية مر على السيد ولي أفندي، ستجده في المقهى... أخشى إن تأخر السيد ولي أفندي، فإن أخاك لن يترك شيئاً إلا ويفعله...
آه يا لحظي الأسود(تبكي).

الأحدب : هيا يا داهه العزيزة. لا تدعي والدتي وحدها (يعانق المربية، ويقبلها)

(تدخل المربية ثانية إلى الغرفة... يبقى الأحدب وحيداً... ينظر إلى الغرفة التي فيها والدته، ثم يتجه على رؤوس أصابع قدميه إلى غرفة الميت، ويفتح الباب، ويدخل... يبقى الباب مفتوحاً يسمع بكاء الأحدب من الداخل، ثم يخرج، وهو يمسح دموعه).

الأحدب : (مغمغماً) شعرت وكأنه كان يتنفس.

(يتحرك باب غرفة الميت ببطء، ثم ينغلق بقوة... يخاف الأحدب... ينظر خلفه)

الأحدب : أخ...

(الأحدب يضبط نفسه، ثم يفتح باب غرفة الميت ببطء، وينظر إلى الداخل، ثم يغلق الباب محاولاً عدم إحداث

أي ضجة، وبينما هو يسير نحو الدرج يمر من أمام المرأة الكبيرة المعلقة على الجدار، يجد نفسه في وضع غير طبيعي، فيرتب ثيابه، ويشد ربطة عنقه نسمع صوت والدة الأحذب من داخل الغرفة التي هي فيها).

صوت والدة الأحذب: لم تركتني؟ إلى أين رحلت؟

(ينظر الأحذب إلى الغرفة التي يخرج منها صوت والدته، ثم يسير نحو الدرج، وينزل)

(صمت)

(تخفت أصوات البكاء القادمة من غرفة والدة الأحذب ببطء تدريجي... نسمع صوت صافرات قطارات تقترب وتبتعد... صمت... يخرج الطبيب، والمريية من غرفة والدة الأحذب).

الطبيب : دعيها تنام بقدر ما تستطيع، أعطوها من الدواء الذي

كتبته ملعقة قهوة كل ساعتين...

سأعود إليكم بعد ساعة...

المريية : أرجوك يا حضرة الطبيب... لا تتركنا وحدنا...

الطبيب : (يسير باتجاه الدرج) لا تقلقي... لا تقلقي...

(يخرج الطيب... تتجه المريية إلى الغرفة التي فيها والدة
الأحدب... تظهر امرأة مغطاة الرأس في أعلى الدرج...
تسمع المريية وقع الخطوات، فتلتفت إلى الخلف).
المرأة مغطاة الرأس: البقية في حياتك يا ست عائشة العزيزة...
المريية : (تؤشر بيدها إشارة السكوت) تحدثي بصوت
منخفض...

المرأة مغطاة الرأس: (مضطربة) ماذا هناك؟

المريية : إنها نائمة... لا أريد أن تستيقظ...

المرأة مغطاة الرأس: من النائمة يا عزيزتي؟ ألم يمت؟

(المريية تؤشر برأسها مؤكدة)

المرأة مغطاة الرأس: ماذا جرى لك يا ست عائشة؟

المريية : السيدة المحترمة نائمة... ثارت أعصابها...

المرأة مغطاة الرأس: طبعا ستثور... ستثور... أعرف ذلك... وهل

أنسى ثورة جماعتي لموت المرحوم؟ أذكر ذلك جيداً...

وماذا فعل السادة؟

المريية : السيد الصغير أصابه الجنون...

المرأة مغطاة الرأس: صحيح أنه أحذب، وذو قلب نظيف، ولكنه
يحمل نيات سيئة... عندما يصادف ابنتي في الطريق
يقول لها: تعالي آخذك إلى السينما... والكبير؟
المربية : آه يا سيدتي العزيزة... لا تسأليني عنه... سيحضر
والدته يا عزيزتي...

المرأة مغطاة الرأس: هه... والله هذا لا يجوز... إنها امرأة مطلقة...
يعتبر المرحوم غريباً عنها، فبأي وجه ستطأ بقدميها
هذا البيت؟ عزيزتي دعيني ألق نظرة عليه.

المربية : تفضلي... انظري... وجهه ما يزال كالوردة...
(تدخل المربية مع المرأة المغطاة الرأس إلى غرفة
الميت... صمت)

صوت والدة الأحذب: (من الغرفة المقابلة) يا ست عائشة...
يا ست عائشة...

(تخرج المربية، والمرأة المغطاة الرأس من غرفة الميت
مضطربتين، وتدخلان إلى الغرفة التي فيها والدة
الأحذب)

صوت والدة الأحذب: (من الغرفة المقابلة) أنا خائفة... لا تركوني
وحدي... أحس بأشياء سيئة... إنني خائفة.

المشهد الثالث

(مطبخ الدار... ابن ولي أفندي جالس أمام طاولة المطبخ
يشرب الحليب، ويقضم الكعك ولي أفندي يتجول في الوسط...
الخادمة واقفة عند الموقد)

ولي : (لابنه) هيا... دعك من الرذالة... اشرب (للخادمة)
جهزي لي فنجاناً من القهوة السادة يا بنتي... ألم تأت
الآنسة الصغيرة بعد؟ (ينظر إلى ساعته) الساعة الآن
العاشرة والنصف ماذا تفعل خارج البيت إلى هذا
الوقت، بينما والدها يعاني سكرات الموت في البيت؟
وسيدتنا المحترمة...

الخادمة : لا تتحدث هكذا يا ولي أفندي، وما أدراكها؟ إن سيدي
العزيز لم يكن يعاني شيئاً. مساء البارحة...

ولي : مهها يكن فقد كان طريح الفراش...

الخادمة : هو الذي سمح لها... كانت هناك حفلة، وخطيها...

ولي : خطيها لا يعجبني... (يتوقف عن الكلام) إذن تمت
الحادثة نحو الثامنة والنصف صباحاً؟

الخادمة : لا أعرف... ولكن على الأغلب قبل ساعتين (يبدأ
صوتها بالرجفان) آخ... لقد تذكرته مرة أخرى...
(تشير إلى الصحن الموجود أمام ابن ولي) هذا الصحن،
وحليب هذا الفنجان أخذتهما له... نظر في عيني...
آه... آه... يا ولي أفندي العزيز. (تتنهد).
(عندما يحاول ابن ولي مغادرة الطاولة يقع الصحن،
والفنجان على الأرض... وينكسر الفنجان).

ولي : (لابنه) ماذا فعلت؟

ابن ولي : لم أفعل شيئاً يا أبي...

ولي : الآن سأصرف معك كما يتصرف الآباء... اجلس
في المكان الذي كنت جالساً فيه.
(يجلس الولد في مكانه السابق)

الخادمة : (تجمع القطع الزجاجية من على الأرض... تصب
القهوة الموجودة على الموقد في الفنجان، وتقدمه لولي
أفندي) تفضل...

ولي

: سلمت يدك... (يشرب القهوة رشفات متتالية) آه أيها
القدر الساخر... لقد رحل السيد الكبير أيضاً... والآن
سيأتي الدور علينا (للخادمة التي تبكي) لا تبكي
يا بنتي... لقد استمتع أولئك بنعيم الحياة، أما نحن فقد
ذقنا مرارتها، كنا أقرباء بالكلام فقط... لا يتذكروننا
حتى في الأيام الحلوة... هل تستطيع التحمل؟ تحمل
يا ولي أفندي... أنا حملت جنازة الزوجة، وكذلك الخال
الكبير للسيد، ومراسم القراءة على زوجته... كل هذا
اعتبرناه ثواباً لنا... على أي حال... إنها الخدمة الأخيرة
التي نقدمها لهم، وبعدها سنرحل... (يخرج من جيبه
دفترًا) انظري... كل شيء مسجل هنا، حتى القروش...
لقد شيعت الزوجة بمئة ليرة، ومئة ليرة من أجل شاهدة
القبر، ثم خال سيدي الكبير شيع بمئتي ليرة، ومئتي ليرة
من أجل القبر... كلفة المقرئين وصل إلى خمسمئة ليرة
للزوجة كل شيء أصبح غالياً يا بنتي... كل شيء غال
مثل النار... في السابق كنت تحضر أفضل مقرئ بخمس
ليرات، الآن يرفضون حتى قول بسم الله بأقل من خمس
وعشرين ليرة... إيه دنيا فانية (تدخل المربية).

المربية : يا ولي أفندي... السيد الكبير يسأل هل كل شيء جاهز؟

ولي : جاهز... سيكون جاهزاً للصلاة الظهر ليوم غد...
المربية : ثم يا سيدي المحترم... عندما تأتي الأنسة الصغيرة عليك أن تشرح لها ما حدث بهدوء وببطء

ولي : ومن هي؟؟

المربية : هكذا طلب... وقد حذر السيدة المحترمة، والسيد الصغير بهذا الأمر أيضاً...

ولي : وهل تم الصلح مع السيدة المحترمة؟

المربية : يا إلهي يا ولي أفندي... أيمكن التفاهم مع زوجة الأب؟
السيد رحل والبيت الكبير سينقسم إلى قطع قطع... وهو الآن يطلب إلى والدته الحضور أيضاً...

ولي : طبعاً سيحضرها.

المربية : هل سيكون لها نصيب من الميراث؟

ولي : من تقصدين؟

المربية : السيدة الكبيرة...

- ولي : وما المناسبة؟ لقد طلقت قبل خمس وعشرين سنة...
- (نسمع من الخارج صوت محرك سيارة، ومنبه)
- المرية : وصلت الأنسة الصغيرة... أرجو أن تنتبه جيداً...
- (المرية، والخادمة تسرعان بالخروج)
- ولي : (لابنه) في هذه المرة سأخذ لك درّاجة إن شاء الله...
أريد فقط أن تكون هادئاً).

المشهد الرابع

(صالون البيت...الأخ الأكبر... فيروز)

الأخ الأكبر: حدث فجأة في هذا الصباح...

فيروز : ما كنت أريد أن أقول...

الأخ الأكبر: لا داعي لقول أي شيء (يتوقف عن الكلام) من

الآن فصاعداً، وباعتباري سأكون رب العائلة، وإلى

أن يتم زواجك من أختي، أرجو أن تتذكر جيداً أنني

لا أحبذ مثل هذه الأمور المسلية...

فيروز : ولكن يا سيدي المحترم...

الأخ الأكبر: لقد رفعت صوتك، وأرجو أن تأخذ في اعتبارك

أنه في الغرفة القريبة منا يوجد ميت يستحق منك

كثيراً من الاحترام...

فيروز : جيد، ولكن...

الأخ الأكبر: هذا كل ما في الأمر... على عاتقك - أكثر من

الجميع - يقع شرح الفاجعة لخطيبتك... لقد رأيت

أن هذا هو الأنسب، ووافقني على ذلك أيضاً
أخوها، ووالدتها... إنها لا يمتلكان الإرادة التي
تملكها أنت... أنا لا أحب الضجة والشجار...
ستفاتها بالموضوع في هدوء وببطء... أرى أنك
سكران قليلاً، وحتماً هي متعبة كثيراً، وإن شعرت
بالنعاس، فلا بأس أن تنام، وهذا هو الأفضل وإن لم
تنم، وَجَبَ أن ينتهي هذا الأمر خلال ساعة، أو
ساعتين... يجب أن تعرف كل شيء، وانزعاجها يجب
أن يتم في غرفتها، وعليها أن تنزل بعد ذلك بوضع
يليق بحرمة الميث...

(يتوقف عن الكلام) هل استطعت أن أفهمك؟

(يسير باتجاه الدرج، ويخرج)

(فيروز يفتح باب غرفة الميث، ويلقي نظرة... يغلق

الباب بسرعة، ويتعد وهو يترنح من السكر).

المشهد الخامس

- (غرفة نوم الفتاة... الفتاة مستلقية على السرير في ثياب السهرة...
سكرى... متعبة... المريية جالسة عند قدميها)
- الفتاة : دادى... إن رأسي يدور... يدور بشكل لا يوصف...
دادى... تكلمي... هل ذهب فيروز؟
- المريية : خطيبك في الأسفل... يقابل أخاك الكبير...
- الفتاة : ماذا جرى لأخي الكبير؟ دادى هل غضب أبى لأننا
تأخرنا؟
- المريية : لم يقل شيئاً...
- الفتاة : وأين هي أمي يا دادى؟
- المريية : لا بد أنها في غرفتها...
- الفتاة : إنني سكرى تماماً، وإن ذهبت هكذا إلى غرفة والدي،
فسيغضب مني أليس كذلك؟ أما يزال نائماً؟
- المريية : أجل...

الفتاة : لقد قضينا سهرة ممتعة... تسلينا كثيراً... رقصت مع
فيروز حتى الصباح، وعند الفجر خرجنا إلى الشارع...
كان المطر ينهمر... ركبنا السيارة، وذهبنا إلى الوادي
الكبير، وفي الطريق رأينا الأشجار تتمايل إلى الجانبين...
دادي...

المربية : ماذا بك؟

الفتاة : صمت كبير يخيم على البيت... لماذا صعدت بي من
السلم الخلفي يا دادي؟

المربية : لا شيء... هكذا...

الفتاة : ولكن لم؟

المربية : لا أعرف... هكذا...

الفتاة : ولكن ما السبب؟

المربية : أوه... أكاد أختنق من الحفقان... يا عزيزتي فعلت
ذلك كيلا تراك أمك، وأخوك الأكبر، وأخوك الأصغر،
وأنت سكرى...

الفتاة : وهل أخي الصغير هنا؟ هيا... اذهبي، وناديه

المربية : أخ... والله لا أستطيع أن أناديه... إنه يتحدث مع
أبيك...

الفتاة : أليس أبي نائماً؟

المربية : لا تسأليني هذه الأسئلة المحرجة... هيا نامي، تعالي
لأخلع عنك ثيابك...

الفتاة : لن أخلع...

(يقرع الباب)

الفتاة : ادخل...

(يدخل فيروز)

الفتاة : ألم تذهب بعد؟

فيروز : كلا... جئت كي أسألك شيئاً... شيئاً مهماً... مهماً
جداً.

الفتاة : إن سمع أبي أنك دخلت غرفتي، فإنه سيقوم الدنيا
ويقعدها...

فيروز : لقد استأذنت في ذلك...

الفتاة : ممن؟

فيروز : من أخيك الكبير (يعطي إشارة للمربية كي تخرج...
ولكن المربية لا تنتبه) يا ست عائشة...

الفتاة : ماذا تريد من دادي؟

فيروز : لا شيء... لقد قال أخوك الكبير (يشير إلى عائشة
مرة أخرى... المربية لا تنتبه ثانية)
يا ست عائشة...

المربية : ماذا تريد؟

فيروز : (يكرر الإشارة) لا شيء... إنني أمزح... هل... هل
فهمت؟

الفتاة : (ترفس برجليها على الفراش) لم أفهم شيئاً... أنت
ما زلت سكران (تضحك مقهقهة)

فيروز : (يستغل ضحكة الفتاة، ليهمس في أذن المربية) أنا...
أنا من سيفاتحها بالموضوع... أنا... هكذا
طلب مني الأخ الكبير... اخرجي أنت...

الفتاة : عمّ تتحدثان؟

المربية : لا شيء... أنا ذاهبة، لأرى ماذا يفعل ولي أفندي...

الفتاة : وهل ولي أفندي هنا؟ يا لطيف... أنا لا أحب
هذا الرجل أبداً... كل بيت توجد فيه جنازة، فإنه
يخط فيها مثل البوم... مختص بتشريفات الموت...
(تضحك مقهقهة).

المرية : عزيزتي إن أعصابك متعبة...

الفتاة : يا دادا العزيزة...

(تخرج المرية)

(صمت)

فيروز : كيف أنت؟

الفتاة : بخير...

فيروز : هل تسليت؟

الفتاة : كثيراً... هذه أول مرة أقضي فيها ليلة كاملة بصحبتك...

فيروز : هل أعصابك متعبة؟

الفتاة : كلا...

فيروز : سأسألك سؤالاً... ما أكبر مصيبة، وأخطر مشكلة

بالنسبة إليك؟

- الفتاة : إن لم تعد تحبني...
فيروز : إن كنت نعسانة فنامي... أنت متعبة... وأنا أيضاً
سكران...
الفتاة : لا أشعر بالنعاس...
فيروز : إن أمك وشقيقك الصغير أضعف إرادة مني...
الفتاة : (تستقيم في الفراش) ما هذا الكلام الذي تقوله؟
فيروز : هكذا... مجرد كلام... أنت تقولين إنك غير متعبة،
ولكن النعاس ينسل من عينيك...
الفتاة : لا... ليس الأمر كذلك..انظر (تقفز من الفراش)
أستطيع أن أرقص لمدة ساعة على الأقل... وإن كنت
لا تصدق فتعال ولكن إياك أن تثير الضجة حتى
لا يستيقظ أبي... هيا (تمسك بفيروز).
فيروز : دعيني يا حياتي، وهل هذا وقته؟
الفتاة : إنني لا أستطيع تحمُّل دلال الرجل... هيا ابدأ...
فيروز : (بالفرنسية) مي ماشيري...
(الفتاة تمسك فيروز، وتتمتم موسيقا الرومبا. ترقص
قليلاً مع فيروز، ثم تفارقه).

- الفتاة : تعبت ...
- فيروز : ألم أقل لك؟
- الفتاة : (تجلس على حافة السرير) هيا اذهب، وناد مريرتي ...
- فيروز : وماذا تريد مني؟
- الفتاة : لتأتي، وتخلع ثيابي ...
- فيروز : أنا سأساعدك في خلع ملابسك ...
- الفتاة : آه... هذا لا يجوز ...
- فيروز : لم؟
- الفتاة : هكذا... لا يجوز ...
- فيروز : (بالفرنسية) مي بركوا...؟
- الفتاة : (بالفرنسية) باسكو... أستحيي ...
- فيروز : بتي... ألم أرك بالمايوه في «البلاج»؟ إن خلعت ما في
الداخل، فهل ستبدلين لي أقل عرياً من المايوه؟
- الفتاة : هناك «بلاج».
- فيروز : سأقول لك شيئاً، ولكن لساني لا يطاوعني في ذلك ...
عديني أن أعصابك لن تثور ...

الفتاة : (بالفرنسية) مي بارول؟

فيروز : أقصد... هل تلبسين المايوه والخمّالات، أم لا تلبسين؟
لقد دقت النظر كثيراً، ولكنني لم أحس بالفارق...

الفتاة : (بغور) لا بالمايوه، ولا دون مايوه... أنا لا أستعمل
ما ذكرته أبداً...

فيروز : (بشك) هذا يعني أنك واثقة من نفسك...

الفتاة : فيروز...

فيروز : ما زلت سكران... لم أعد إلى وعيي بعد... (بالفرنسية)
امبوسيل... انظري إلي سأحدث إليك بجديّة،
يا صغيرتي العزيزة... كوني متينة الأعصاب...

الفتاة : (بقلق) ماذا هناك؟

فيروز : لا شيء... أقصد كوني متينة الأعصاب، كي أخلع عنك
ملابسك... يا حياتي... ماذا سيحدث؟ هيا سأخلع
عنك ملابسك... نامي... على الأقل ساعتين... هيا...
سأخلع ثيابك... ببطء... ببطء كما يقشر الموز...
(يتحدث بحذر مرة أخرى).

- الفتاة : وإذا دخل أحد، وراك، وأنت تخلع ثيابي؟
- فيروز : لن يأتي أحد (يقترّب من الفتاة ببطء شديد) هيا دعيني...
- الفتاة : حسن... ولكن أنت ...
- فيروز : قفي... قبل كل شيء، سأخلع عنك الجورب...
(يخلع الجورب الأول للفتاة، ويقبل ساقها العارية)
- الفتاة : لا... لا تفعل ذلك...
- فيروز : أنا لا أفعل شيئاً (يخلع الجورب الثاني أيضاً) قفي الآن على رجلك... قفي يا حياتي... هيا.
(الفتاة تقف... يفك فيروز الزر... ينزل الثوب عند قدمي الفتاة).
- فيروز : (يمدد الفتاة على الفراش) ما أجملك... أوه
(بالفرنسية)... ماشيري...

المشهد السادس

(صالون البيت... المرأة المغطاة الرأس... المريية)

المرأة مغطاة الرأس: ماذا حدث؟ هل تقابلتا؟

المريية : يا إلهي... كنت أخاف من هذا كثيراً... الولد أحضر أمه إلى هنا...

المرأة مغطاة الرأس: وأين كان الأحدب؟

المريية : ذاك أيضاً كان إلى جانب أمه...

المرأة مغطاة الرأس: هل بكت؟

المريية : من؟

المرأة مغطاة الرأس: السيدة الكبيرة...

المريية : نعم بكت...

المرأة مغطاة الرأس: وماذا فعلت الأخرى؟

المريية : عندما بكت السيدة الكبيرة، كانت سيدتي المحترمة

تضرب نفسها في غرفتها، وبعدها عانقت الأحدب،

وطلبت ابنتها...

المرأة مغطاة الرأس: وبعد ذلك؟

المرية : وطبعا كنا نحن قد وضعنا البنت في غرفتها بالطابق العلوي منذ البداية...

المرأة مغطاة الرأس: لم يا عزيزتي؟

المرية : هكذا طلب الأخ الكبير... نبهنا أن نفتح لها الموضوع بحذر، وهدوء، وببطء، ثم أرسل السيد فيروز خلفها، وطلب منه أن يضعها بالصورة تدريجياً...

المرأة مغطاة الرأس: أي... هل فاتحها بالموضوع؟

المرية : لا أعرف... ليس هناك صوت أو ضجة... والآخرين أيضاً سكتوا... لقد انسحبت الأيدي والأرجل من داخل البيت...

(يدخل ولي أفندي مضطرباً، وخلفه ابنه)

ولي : أين هو السيد؟

المرية : من تقصد؟

ولي : من أقصد؟ حتماً لا أقصد الأحب... السيد الكبير...

المرية : ذهب مع أمه قبل قليل...

ولي : هكذا؟ أهذه هي مدة الزيارة؟ أعتقد أن لهذه الزيارة القصيرة سبباً آخر؟ على كل حال كنت في حاجة إلى السيد...

المربية : وماذا كنت تريد منه؟

ولي : أولاً كنت سأسأله عن خشب التابوت، ونوعيته... ثانياً أين يريد أن نضع الطنجرة؟

في البستان الخلفي، أم في غرفة الغسيل؟ لقد جهزت جنازات كثيرة، ولكنني لم أصادف من يتدخل في أموري كهذا... السيد يتدخل في كل شيء... هل حضر الشيخ عاصم؟

المربية : كلا...

ولي : يا له من رجل... لقد أرسلنا في طلبه منذ ساعة... ليأتي، ولينتظر... لا أريده أن يتركني وحيداً... لم يأت هه؟ يا له من رجل ناكر للجميل... إنه لا يريد أن يقدم على أيّ خطوة إلا بعد الاتفاق على الأجر، ولا سيماً في جنازة الأغنياء؟ هل هو وحده الآن؟

المربية : من؟

ولي : المرحوم.

المربية : نعم وحده... إنه نائم في الداخل.

(يحاول ابن ولي أن يفتح باب غرفة الميت، والنظر إلى الداخل).

ولي : (لابنه) ابتعد من هناك (يبعد ابنه... للمربية) لم أدخل إلى الداخل من كثرة أعمالي (لابنه) ابق أنت هنا، وانتظري (يدخل ولي إلى غرفة الميت).

المرأة مغطاة الرأس: من الأفضل أن أذهب يا ست عائشة... لا بد أن البنت قد أتت الآن من المدرسة للغداء سأحضر في المساء...

المربية : أرجوك لا تركينا وحدنا...

(تخرج المرأة المغطاة... يظهر الأحدب، ووالدته من الباب المقابل، وهي تمسك بذراع ابنها... يتحرك ابن ولي ليقبل يد القادمين مرحباً... هنا يخرج ولي أفندي من غرفة الميت).

ولي : (لابنه) لا تزعج السيدة المحترمة...

والدة الأحذب: دعه يا ولي أفندي العزيز... آه... يا عزيزي ولي
أفندي... أرأيت ما يحدث لنا؟

(تبدأ في البكاء)

المرية : آه يا سيدتي المحترمة... أخشى أن تسمع الست
الصغيرة...

والدة الأحذب: حسن... سأسكت... أريد أن أضم ابنتي على
صدرتي بقوة، وأبكي...

الأحذب : أماه...

والدة الأحذب: ماذا حدث؟ ألم تسمع بعد؟ ألم يخبروها؟

المرية : يبدو أن السيد فيروز لم يفتحها بعد...

والدة الأحذب: ابنتي... صغيرتي... يا ابنة أمها.

(تستعد للبكاء)

ولي : سيدتي المحترمة... أريد أن أعرض عليك مسألة...

والدة الأحذب: تكلم يا ولي أفندي العزيز... تكلم...

ولي : ولكنني لا أعرف كيف أبدأ، وبأي شكل يا سيدتي.

الأحذب : قل يا ولي أفندي...

ولي : سيدتي... إحسانكم معروف، وكذلك...
والدة الأحذب: (تضع منديلها على فمها، وتبكي بحشرجة)
يا زوجي العزيز... يا زوجي العزيز...
المربية : يا عزيزي... يا ولي أفندي... ماذا تريد أن تقول
لسيدتي المسكينة؟

ولي : كلا يا ست عائشة... لم أقصد ما ظننت... كنت
أقصد... يعني يا سيدتي (لوالدة الأحذب) لو
سمحت يا سيدتي... أريد أن أتحدث بهذا الموضوع
مع ابنك المحروس...

والدة الأحذب: لا بأس يا ولي أفندي... تكلم... أنا سأضبط
نفسي... لم يبق أمر في هذه الأيام المؤلمة إلا وحملوه
عبئاً علي... هل ما ستقوله هو أكثر خطورة مما حل
برأسي؟

الأحذب: ماذا هناك؟

ولي : قبل قليل أتيت من الداخل... السيد الكبير...

(تبكي والدة الأحذب)

ولي : كنت أقصد...

والدة الأحذب: لا تنظر إلي... تكلم...

(المرية تشير إلى ولي إشارات تقصد منها «إنك تخلط
أشياء بعضها ببعض».

ولي يجيها بإشارات «ماذا أفعل»... كل هذا بحركات
إيهائية).

والدة الأحذب: تكلم يا ولي أفندي... تكلم الآن... وإلا سأدوخ،
وأقع على الأرض...

ولي : سأتكلم يا سيدتي... المعروف أن هناك بعض
الأماكن تتنفخ بعد الوفاة (يتوقف عن الكلام،
وعندما لا يقاطعه أحد) نعم يا سيدتي... تتنفخ...
مع العلم أنني حين دخلت إلى الداخل وجدت في
إصبع المرحوم خاتما واحدا عليه قطعة من «البر لانتا»،
وأظن أن هذا...

والدة الأحذب: (تبكي بشدة) آه يا زوجي العزيز... أعرف
ذلك... لقد اشترى ذلك الخاتم في العام الماضي،
وعندما طلبته منه قال لي: يا زوجتي العزيزة... يمكنك
أخذه بعد موتي... ليتني لم أطلبه منه..

المربية : (لولي) أرأيت ما فعلت؟

ولي : أرجو أن تهدئي يا سيدتي المحترمة...

(الأحذب قد أحضر زجاجة الدواء، وسكب منه
ملعقة، وقدمها إلى والدته).

الأحذب : اشربي يا أمي الغالية...

(والدة الأحذب تشرب الدواء)

والدة الأحذب: (تتجرع) ماذا أفعل يا ولي أفندي؟

ولي : سيدتي... كنت أريد أن أقول إن انتفخ الإصبع، فسيكون
من الصعب استخراج الخاتم سنضطر إلى قطعه، أو
ما شابه ذلك...

والدة الأحذب: تقصد قطع إصبعه؟

ولي : إما إصبعه، وإما الخاتم...

والدة الأحذب: لا أريد أن يغرزوا السكين في جسده بعد موته؟

ولي : يا سيدتي بعد قليل سيحضر الشيوخ، والبيت
سيكون في اضطراب... ولن يعرف الداخل من
الخارج... ومعروف أن إحسانكم، وعطفكم كبير...
والواجبات...

الأحدب : ماذا تريد أن تفعل؟ هيا أرشدنا يا ولي أفندي...
ولي : كنت أريد أن أقول من الأفضل خلع الخاتم الآن...
الأحدب : اذهب الآن، وأخلعه يا ولي أفندي...
ولي أفندي: يا سيدي... أنا.
والدة الأحدب: لا أريد أن تمتد إليه أيد غريبة... أنا سأذهب...
أنا سأخلع الخاتم... (تتجه نحو باب غرفة الميت)
يا زوجي العزيز (تبكي بخفوت).
(الأحدب يساعد والدته، ويدخلان إلى غرفة الميت
... صمت)
ابن ولي : ماذا يجري يا أبي؟
ولي : لا شيء... إنها قضية خاتم من الماس... أنت لا تفهم
مثل هذه الأمور...

المشهد السابع

(غرفة الميت... الميت على الأرض مغطى بشرشف... والدة الأحدب، والأحدب يقتربان ببطء من الميت... الأم تلقي بنفسها على الجثة).

والدة الأحدب: (تبكي) يا سيدي العزيز... يا سيدي العزيز...
يا وحيدي... لن أنظر إلى وجهك... آه... أحس بالمصائب القادمة...

الأحدب: أماه... لنخرج...

والدة الأحدب: لن أخرج... لن أغادر هذا المكان... اقترب أنت أيضاً إلى جانبي (تربت يدها فوق صدر الميت) إنه هنا (تبكي).

الأحدب: الخاتم؟ دعيني أخلعه يا أمي...

والدة الأحدب: لا أريد... أنا سأخرجه... أنا... أنا... لقد شعرت بكل آلامه... أنا التي قدمت له السعادة، والآن علي أن أحتمل عذابه أيضاً (تمد يدها، وهي تبكي إلى تحت الشرشف، وتخرج يد الميت، وتبدأ بتقبيله، وترى الخاتم

يلمع في إصبع الميت) يا زوجي العزيز... لقد رحلت
وبقي لي هذا (تحاول استخراج الخاتم ببطء... فجأة
يفتح الباب، ويدخل الأخ الأكبر).

الأخ الأكبر: ماذا تفعلان هناك؟

والدة الأحدب: لا شيء (ترك يد الميت، فيقع على الشرف).

الأحدب : يعني... يا أخي...

الأخ الأكبر: هل تهربان المال من الجمارك؟

الأحدب : ولكن يا أخي... أنت...

(تدخل الفتاة إلى الغرفة من الباب المفتوح، وهي
ترتدي «الكومبيلزون»... شعرها منفوش... تصرخ،
وتبكي).

الفتاة : أبي... أبي العزيز...

(تلقي بنفسها على الميت)

(يظهر خلفها فيروز، وقد خلع سترته، وتدلّت منه
مشادات البنطال، ونرى المريية، وولي عند العتبة...
يسمع صوت صفير قطار يتعد).

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

المشهد الأول

(صالون البيت، وفيه كثير من الرجال... شابان، العجوز ١، والطبيب، واثنان من المشيعين الأحذب يقف إلى جانب الشابين... نسمع تمتمات، وهمسات، وسعالاً... تظهر على الوجوه الجدية، والحزن... المشيعان يقفان في الخلف، بينما الآخرون يجلسون على المقاعد وجوههم عابسة، وكأنهم يتحدثون عن الموت، وعن مآثر الميت... والحقيقة:

مشيع ١ : الساعة تقترب من النصف.

مشيع ٢ : حتى الآن لم تشيع الجنازة. رغم أنهم أعلنوا في الصحف أن الجنازة ستشيع في تمام الثانية عشرة.

مشيع ١ : كل أمورنا على هذا المنوال، إن سرّ رقيّ الإنكليز يكمن في تنفيذ ما يريدون في الساعات المحددة، تعال بعد هذا، وأفهمنا هذا الأمر... إن لم يفِ المرء وعده على ميته في الوقت المحدد...

مشيع ٢ : أنا على موعد مهمّ في تمام الساعة الواحدة والنصف،
وإذا تركت هذا المكان، وذهبت فسيكون الأمر معيباً،
وإن انتظرت فسأتأخر... لا أعرف ماذا أفعل؟

مشيع ١ : يا عزيزي في المجتمع الإنكليزي مثلاً يعلنون أن
الكنيسة مفتوحة، ولنقل من الساعة التاسعة حتى
العاشرة، وإن ذهبت في العاشرة وخمس دقائق، فإنك
ستجد باب الكنيسة مغلقاً في وجهك...

تصور حتى العبادة لديهم مثل الآلة... ذات يوم
كان أحد الإنكليز...

مشيع ٢ : سأنتظر ربع ساعة من الآن، وإن رأيتهم لا يتحركون،
ودون أن يشعروا...

مشيع ١ : هذا يعني عند الإنكليز الهروب... إنهم ليسوا مثلنا...
ليس لديهم الفراغ للحلاقة، أو ما شابه ذلك... إن
وجدوا أن الأمر سيطول، فإنهم يتعدون دون ضجة...

مشيع ٢ : صحيح أن هذا هو واجبنا الأخير، ولكن يجب أيضاً
ألا تهمل الأمور الدنيوية... من أجل الأموات...
سأنتظر عشر دقائق أخرى...

مشيع ١ : سألوا إنكليزياً...

(بيتعدان)

الشاب ١ : (للأحدب) هون عليك يا أخي... أنت ما تزال شاباً،
والمستقبل ينتظرك.

الشاب ٢ : كل واحد منا فقد والده...

الأحدب : (للشاب ٢) متى؟ متى توفي؟

الشاب ٢ : (مضطرباً) كلا... لم أقصد... يعني إن لم يميت الآن،
فسيموت...

الشاب ١ : كلنا سنموت... الموت... لقد كان لي قريب مدرس...
ذات مرة أعطاني كتاباً، كي أقرأه لم أعد أذكر اسمه،
ولا أدري لأي فيلسوف كان... يقول: الموت هو ظل
جسر يصل مجهولاً إلى مجهول.

الأحدب : لم أفهم...

الشاب ١ : (يحاول أن يمسك ضحكته) والله «بالفرنسية»
يا موشير... أنا أيضاً لم أفهم جيداً.

الشاب ٢ : يعني...

(هنا يرى الأحدب قدوم العجوز الثاني، فيقف)

الأحدب : لقد حضر السيد عبد الحفيظ...

الشاب ١ : أرجوك... اذهب... نحن لسنا أغراباً.

(يذهب الأحدب)

الشاب ٢: ما هذه الحلاقة للأحدب؟

الشاب ١ : إني أتألم لحال الولد...

الشاب ٢: المهم الأموال التي ورثتها... انظر إلى هذا...

(يأخذ الأحدب العجوز الثاني عبد الحفيظ إلى جانب

العجوز الأول... العجوز الثاني يقبل جبين الأحدب،

ويجلس إلى جانب العجوز الأول... الأحدب يتعد).

العجوز ٢: لقد اضطرت كثيراً عندما قرأت الخبر في الصحيفة...

العجوز ١: وأنا أيضاً... أهل البيت قرؤوا الخبر، وأخبروني...

دنيا... (يسعل) أبعد الله عنك المرض منذ شهرين،

أصبت بهذا السعال...

العجوز ٢: يجب أن تترك السيجارة...

العجوز ١: لقد تركتها، ولكني لم أستفد شيئاً... إنها الشبخوخة...

لقد مضت مدةً طويلة لم نلتق فيها... نصيب...

العجوز ٢: نحن دائماً في المكان نفسه... لقد أحببنا هواء المنطقة،
ولا نستطيع المغادرة بشكل من الأشكال... لقد كان
المرحوم يصر في كل مرة أن نتقل إلى هنا، لنصبح
جيرانا...

العجوز ١: كم كان يبلغ من العمر في تقديرك؟

العجوز ٢: كان يكبرني أربع سنوات تقريباً يعني يا سيدي كان
في الخامسة والستين... تقريباً.

العجوز ١: (شاردا) بعمرى...

العجوز ٢: أنت ما شاء الله لا يبدو الكبر عليك... يا سيدي
المرحوم في السنوات الأخيرة تدهورت صحته فجأة...
لقد رأته قبل ثلاثة أشهر تقريباً كان مصاباً بالشلل، لم
يكن يعرف شيئاً...

(تدخل الخادمة، وهي تحمل القهوة للقادمين الجدد...
تمد الصينية للعجوز).

الخادمة : تفضل يا سيدي...

العجوز ٢: (يأخذ فنجان القهوة، ويتناول بيده الثانية كأس
الماء... يرشف رشفة من القهوة... تتغير ملامح وجهه،

متمعضاً) ولكن يا بنتي... هذه سادة... حضري لي
فجاناً آخر، وضعي فيه قليلاً من السكر.
الخدمة : أمرك يا سيدي... (وهي تبتعد).

العجوز ٢: كلا... كلا... لا أريد... ربما من الواجب أن يبقى
الأمر هكذا... لا تعذبي نفسك...
الخدمة : أستغفر الله... سأحضره حالاً...

العجوز ٢: هه... حسن، ولكنني أريده دون رغبة يا بنتي (الخدمة
تبتعد) صحيح يا سيدي، وحسب الواقع يجب أن تكون
القهوة سادة في مثل هذه الأحوال، ولكنني لا أستطيع
شربها، وهي كذلك إثمها مسألة اعتياد...

(يدخل الأخ الأكبر خلف رجل رسمي يضع قبعة
أسطوانية الشكل على رأسه إلى الصالون يقف قسم
من الحاضرين).

الأخ الأكبر: (للرجل) تفضل إلى هنا يا سيدي المحترم... أرجوك
تفضل إلى هذه الجهة يا سيدي...

(الأخ الأكبر يتجه بالرجل الرسمي الذي يضع قبعة
أسطوانية على رأسه نحو المقعد الموجود في زاوية صدر

المكان، حيث نجد رجلاً في هيئة رثة يجلس على المقعد -
الأخ الأكبر يؤشر للرجل، الرجل لا يفهم).

الأخ الأكبر: (للرجل) قم.

(الرجل يقف خجلاً).

الأخ الأكبر: (للرجل الرسمي) تفضل يا سيدي... إن حضورك،
وتذكرك لنا في مثل هذا اليوم العصيب وضعنا جميعاً
في إحساس مملوء بالسعادة الحقة... هل أغلق النافذة
يا سيدي؟

(في هذه اللحظة يقترب ولي أفندي من الأخ الأكبر).

ولي : يا سيدي المحترم...

الأخ الأكبر: ماذا تريد؟

ولي : كنت أريد أن آخذ رأيك في مسألة...

الأخ الأكبر: (للرجل الرسمي) لو سمحت يا سيدي... المحترم...
خذ راحتك.

(يبتعد مع ولي أفندي).

الأخ الأكبر: (بقسوة لولي أفندي) ماذا تريد؟ بين مدّة وأخرى...

ولي : يا سيدي...

الأخ الأكبر: لا تقاطعني، ليس ضرورياً أن تشغلني من حين
لآخر... إن كنت لا تنفع لهذا العمل فلأي عمل تنفع؟
هيا... قل... إنني أستمع اليك...

ولي : يا سيدي لقد بحثت في كل المساجد عن غطاء التابوت،
ولكن الأغطية كلها محجوزة لجنازات أخرى، فلو
سمحت يا سيدي أن نأخذه من مسجدنا...

الأخ الأكبر: تقصد من مسجد الحي؟

ولي : سيدي...

الأخ الأكبر: أين كان عقلك منذ البارحة؟ ألم يبق مسجد آخر
في كل إسطنبول غير مسجدنا؟ هل أكلت القليل من
خيرات والدي؟ وتريد بعد هذا، ودون خجل أن تغطي
التابوت بغطاء مسجدنا؟ لا تقف أمامي... اذهب
وافعل ما تريد...

(ولي أفندي ينسحب... الأخ الأكبر يتجه نحو الباب...
هنا يدخل المسافر المتطفل، ويقف أمامه).

المسافر المتطفل: يا سيدي المحترم... لقد حضرت كي أقدم لكم
التعازي... ليمنحكم الله الأجر والصبر إيه... قدر
ظالم... أعرف أن فجيعة الأب سيئة... ثم يا سيدي أنا
خجل من تصرفي بالأمس... أنا آسف أشد الأسف...

الأخ الأكبر: أشكرك... ولكني لم أفهم ما كنت تقصد...

المسافر المتطفل: سيد... صباح أمسي، وبنوع من التطفل، وبينما
كنت أنظر إلى الداخل من الباب المفتوح...

الأخ الأكبر: آه... هل كنت أنت ذلك الرجل؟

المسافر المتطفل: نعم مع الأسف... بعد الذي جرى بيننا كلينا
سألت في الحى، وعندما علمت بالخبر المؤسف...

الأخ الأكبر: أشكرك... تفضل...

(الأخ الأكبر يتجه نحو الباب، ويخرج.. المسافر المتطفل
يبقى في الوسط ينظر حوله، ثم يتجه نحو الأحذب
الواقف بجانب الباب)

المسافر المتطفل: (يتحدث مع الأحذب عن الأخ الأكبر) يا له
من رجل عنيد، ومتخلف...

الأحدب : من؟

المسافر المتطفل: من سيكون يعني؟ جئت أقدم له التعازي بسبب موت والده... ولكنه كان يوشك أن يمسخ ذراعي، ويلقيني خارج الباب كما فعل في المرة السابقة.
(تقترب الخادمة من الأحدب).

الخادمة : (للأحدب) سيدي الصغير إنهم يطلبونك في الداخل.
يخرج الأحدب بسرعة دون أن يقول شيئاً للمسافر المتطفل).

المسافر المتطفل: لا حول ولا... انفجرنا...

(ينظر حوله، فيرى العجوزين... يشعر وكأنه يعرف أحدهما، فيقترب منها ببطء، ويصافح السيد عبد الحفيظ، ثم يجلس بينهما... يبدأ الحوار بالإشارات...
الشابان أمام النافذة).

الشاب ١: الكلام بيننا ترتيب الصالون لا ينم عن ذوق أبدأ، مع أن شقيقة الأحدب درست في المعهد الكاثوليكي، والذوق الفرنسي هو ذوق رائع...

الشاب ٢ : (ينظر من النافذة إلى الخارج) لقد وصل الكشاف...
المساكين... في هذا الجو الحار؟

الشاب ١ : (ينظر من النافذة) ستكون مراسم مدهشة (كلاهما
يستمرُّ في النظر إلى الخارج).

المسافر المتطفل : لم الكذب يا سيد عبد الفياض؟ عندما دخلت،
وشاهدت التحضيرات لم أجد لها مناسبة، فالمرحوم
يملك ثروة تثير التوتّر... لقد أحضروا ثلاثة من
المقرئين فقط... يا جماعة قليلاً من الإنصاف... إن
كانت جنازة رجل يملك خمسمئة ألف تشيع بثلاثة
من المقرئين، فماذا نقول نحن؟

العجوز ٢ : الذي أعرفه أن المرحوم كان يملك فقط ثلاثمئة
ألف ليرة...

المسافر المتطفل : يا سلام... ثم سمعت أمراً آخر... يقولون إن
ثروة المرحوم كلها نقدية، وإنه قطعاً لم يكن يشتري
أملاكاً، أو ما شابه ذلك.

العجوز ١ : هذا صحيح... فعلاً كانت لديه هذه العادة السيئة...
حين كان شاباً استولى على الذهب الذي ورثه من

والده، ووضعها في جرة مدّة طويلة، وأنا على يقين
من هذا الأمر، لما صدرت الأوراق النقدية، وخوفاً
من تلفها أو فقدان قيمتها وضعها في البنك، ويقال
أيضاً: إن والده كان يتعامل بالربا...

المسافر المتطفل: ترى أما تزال باقية؟

العجوز ٢: من؟

المسافر المتطفل: الجرة التي وضع فيها الذهب منذ القديم؟
(يدخل مدير المصرف، وإلى جانبه الأخ الأكبر).

الأخ الأكبر: أشكرك يا سعادة المدير...

المدير : وطبعاً وديعة والدك الموجودة لدينا في المصرف...

الأخ الأكبر: سنتحدث حول موضوع الوديعة الموجودة في
مصرفكم فيما بعد يا سعادة المدير... أنا لست الآن في
وضع يسمح لي بالتحدث عن الموضوعات المالية...

المدير : كلا يا سيدي... أنا لم أقصد أن... أقول...

الأخ الأكبر: أجل سنتحدث في الأمور المالية فيما بعد... فيما
بعد... ليتك تتفضل بزيارتنا هذه الليلة... من جهة
لن تتركنا وحدنا، ومن جهة أخرى...

(تقترب الخادمة من الأخ الأكبر).

الخادمة : سيدي المحترم... لقد وصلت والدتك...

الأخ الأكبر: (للمدير) عن إذتك... سننتظرك... (يخرج)

المسافر المتطفل: مع من كان يتحدث السيد المخدوم؟

العجوز ١ : إنه مدير المصرف الذي كان المرحوم يضع فيه أمواله...

المسافر المتطفل: هكذا؟... آه... يا لهم من أناس على عجلة من

أمرهم...؟ يا ناس الجنازة لم تشيع بعد...

العجوز ٢ : يا عزيزي... الأموات يردون قبل .

المشهد الثاني

(غرفة الفتاة... الفتاة تقف على مقعد بجانب الجدار، ونراها قد وشحت صورة والدها «بالريان» الأسود... مشغولة بترتيبه... تبكي بخفوت... فيروز جالس على حافة السرير يدخن سيجارة، وينظر أمامه... تنزل الفتاة من على المقعد، وتذهب، وتجلس أمام طاولة الزينة، وتحفي رأسها بين يديها، وتبدأ بالبكاء... يقف فيروز، ويذهب نحو الفتاة، ويربت على شعرها).

فيروز : لا تبكي يا حياتي... لا تبكي يا حبيبتى...

الفتاة : (بانزعاج) لا تلمسني... ابتعد عني... أنا أشمئز منك
(بالفرنسية) جيه تو دست...

فيروز : ولكنك مخطئة... ليس الذنب ذنبي، وإنما ذنب أخيك
الكبير...

الفتاة : اسكت... الذنب عليك، وعليه، وعليكم جميعاً... أبي
العزیز... أبي العزیز...

(تقف، وتذهب إلى أسفل الصورة، وتنظر إليها طويلاً)
ما تزال الصورة تظهره، وكأنه حيٌّ (تصعد مرة أخرى
على المقعد، وتقبل الصورة، وترتب «الريان» الأسود،
بينما فيروز يقف إلى جانب المقعد، ويتأمل ساقَي الفتاة
بطرف عينه).

الفتاة : (لفيروز) لم أنت واقف هنا؟ هي... اخرج... اذهب...
(بالفرنسية) فيه تام...

(بينما تتحدث هي بهذه الكلمات تأتي بحركة قاسية،
فتفقد توازنها، وتترنح، وتقع من على المقعد بين ذراعي
فيروز الذي يمسك بها).

فيروز : (بالفرنسية) باردون ما شير... يا وحيدتي...

الفتاة : (تضع رأسها على صدر فيروز) (بالفرنسية) لسه موا...
ابتعد... اذهب من هنا (تبكي) أبي... أبي العزيز...
(ينفتح الباب، وتدخل المربية، وبدخولها تبتعد الفتاة
عن فيروز بحركة انسيابية).

المربية : يا سيد فيروز... لقد وصل ابن خالتك، ويريد
رؤيتك...

فيروز : مليح؟ برافو يا ولد (للفتاة) رأييت؟ كنت أقول لك إن مليح ولد راق، ولكنك كنت لا تصدقيني... لو سمحت دقيقة واحدة... لا تغضبي مني هه؟ (يخرج).
(الفتاة تشيعه بنظراتها، ثم تلقي بنفسها بسرعة على المربية، وتعانقها).

الفتاة : دادى... دادى... يا دادى العزيزة... (تبكي).

المربية : ابكى يا بنيتي... ابكى... سترتاحين يا لسعادته... طار مثل طير، ورحل... سيثيع مثل الباشوات له كثير من المحبين... كل من سمع بموته جاء إلى هنا... جاؤوا من أحياء سبعة... كان مثل الملاك... لينم في النور... (تلمح فجأة الوشاح، و«الريبان» الأسود الموجودين على الصورة) لم هذا؟ لم؟

الفتاة : (تفارق المربية) ماذا حدث يا دادى؟

المربية : لم هذا الوشاح الأسود يا عزيزتي؟ هذا ليس بالتصرف الجيد... هيا انزعيه من هناك... والله هذا حرام... حتى تعليق صورته ليس بالأمر المستحب.

(تتجه نحو الصورة)

الفتاة : دعيها يا دادي... لا تلمسيها...

المرية : إيه كما تريدن، ولكنك ستعذبن المسكين العذاب الكبير... آه لينم في النور... كل هذه العادات وضعت في عقلك من تلك المدارس الأجنبية التي أرسلت إليها... والله إن هذا عيب... حرام يا بنتي... حرام... انزعيه...

الفتاة : دادي...

المرية : لن أنظر إلى وجهك، والله لن أحلل عليك أتعابي...
(تبكي الفتاة.. تدخل أمها من الباب).

الفتاة : (تتجه نحو أمها) أماه...

والدة الأحذب: المصائب تنهال على رؤوسنا... المصائب تنهال على رؤوسنا... لقد أدخل أمه ودون حياء إلى غرفتي... أساء إلى سمعتنا في يوم كهذا... آه ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ لقد وهبني الله ولدًا، ويا له من ولد... أحذب، وجبان...

الفتاة : وأنا يا أماه؟

والدة الأحذب: أنت فتاة يا صغيرتي... كلتانا لم يبق لنا من يحمينا...
أبوك... أبوك العزيز (تبكي).

الفتاة : أماه يجب أن نغادر هذا البيت فوراً... لا أريد شيئاً...

ليبق كل شيء لهم... سيرعانا كَلْتِينَا فيروز...

والدة الأحذب: بل هو محتاج إلى رعاية نفسه...

(يدخل الأحذب، ويقترّب خائفاً).

الأحذب : أماه...

والدة الأحذب: ماذا هناك؟

الأحذب : سيحملونه بعد عشر دقائق...

الفتاة : (تعانق أمها) با با...

(في هذه اللحظة تحاول المربية نزع الوشاح عن الصورة

بحركة سريعة، وعشوائية، فتقع الصورة على الأرض).

الفتاة : آه...آه...

(تسرع الفتاة، وتجمع قطع الزجاج المكسور).

والدة الأحذب: دعيها... سوف تجرحين يدك...

الأحذب : ساعديها يا عائشة خانم...

(تصحو عائشة من اضطرابها، وتسرع للمساعدة...)

الفتاة تتمم «أبي العزيز»... في هذه اللحظة يجرح

إصبع الفتاة)

الأحدب : لقد جرحت يدك...

والدة الأحدب: أحضروا «تانترىوت» بسرعة...

الفتاة : إنه في درج طاولة الزينة...

(المرية تحضر «التانترىوت»... تمسح الفتاة إصبعها).

الأحدب : قطعة قماش...

الفتاة : لم ينقطع النزيف.

والدة الأحدب: يجب الضغط عليه... (عائشة تبحث عن قطعة

قماش، فتجد شالاً حريراً ملقىً بجانب الفراش...
تحاول تمزيقه)

الفتاة : لا... ذاك لا يصلح... دعيه... آه الدم يسيل... أوف

النزيف لا ينقطع...

(الفتاة تجد الوشاح الأسود الذي كان على الصورة،

فتأخذه، وتمزقه بيدها، وبأسنانها).

الفتاة : خذي... اربطي بهذه...

(الأم تربط إصبع الفتاة بالوشاح).

المشهد الثالث

(الغرفة التي فيها التابوت... نجد في الغرفة الحارس، وشيخين،
وبائع الخضراوات يدخل ولي أفندي، والعرق يسيل منه، ويده
غطاء التابوت).

ولي : وجدته... وجدته... أرجوكم أن تسرعوا في تغطيته...
لم يبق لدينا وقت...

(الحارس، والشيخان يغلفون التابوت بالشال... يستند
ولي أفندي إلى الحائط، ويمسح عرقه بمنديله، ويراقب
كيف يغلفون التابوت بالشال).

ولي : بعد جهد جهيد استطعت أن أجده في السلطان أحمد...
تدلل الرجل في العطاء قائلاً: ألا يوجد مسجد في حيكم؟
اذهب وخذه من هناك... لقد كان حضرة الشيخ محققاً
في كلامه ولكن تعال وأفهم هذا الأمر لسيدنا... إن لم
نذكر مسجد السلطان أحمد...

الشيخ ١ : للحقيقة إنه مسجد مهم... هناك ثلاثة مساجد مهمة
أولاً السلطان أحمد، ثانياً أيا صوفيا وثالثاً بيازيد...

ولي : (يشير بيده إلى الشال) إنكم تلفونه خطأ يا جماعة...
ليس هكذا يا بابا الحارس

الحارس : وكيف تريده يا سيدي؟

ولي : اسحب ذاك الطرف إلى الرأس... لا... ليس كذلك
(يقترّب من التابوت، ويرتب وضع الشال) هكذا...

أليس هذا صحيحاً يا شيخ عاصم؟

الشيخ عاصم : للحق... هذا صحيح...

(يدور ولي أفندي حول التابوت، ويتفحصه).

ولي : أمسكوه هكذا... لترفعه نحو الأعلى... هل يمكن
رفعه بالأذرع؟

(الأربعة يحملون التابوت من الأذرع).

ولي : ليست هذه عادة، ولكنني ذات مرة، حدثت معي

مشكلة، وذكرها ما تزال مؤلمة في نفسي... خال السيد

المرحوم (يشير إلى التابوت) أعني شقيق والدتي سيدي

كان إنساناً مهماً... توفي هذا الرجل مساء يوم الخميس،
وطلب مني أن أجهز للدفن بعد صلاة يوم الجمعة،
وتمهل يا ولي أفندي، وبعد جهد جهيد، استطعنا أن
نجهزه في الوقت المحدد وعندما خرجنا به إلى الشارع...
فجأة انكسر ذراعا التابوت الأماميان، وتدحرج التابوت
ووقع على الأحجار...

الشيخ عاصم: ومن الغريب أن ذنوبه كانت كثيرة...

ولي : إن كان القصاص على هذا المنوال يا شيخ عاصم،
فينبغي أن تحمل في تابوت حديدي.

الشيخ عاصم: آه يا ولي أفندي أنت لا تدع المزاح حتى في أخرج
الأوقات...

ولي : أي مزاح؟ (يلمح أكاليل الورد المسندة إلى الحائط)
واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة... أثناء
غيابي أحضرها آخرون... لأرى من المرسل (يذهب،
ويأخذ ورقة صغيرة، ويقراً) لكل أنواع الأعراس،
والجنازات... مخزن كاظم نوري (يسكت) يا له من
حقير... انه يعرف كيف يتصرف... انظر يا شيخ

عاصم هنا خمسة أكاليل، والخمسة من مخزن كاظم
(تظهر الخادمة في باب الغرفة).

الخادمة : ولي أفندي... ولي أفندي...

ولي : ماذا هناك؟

الخادمة : السيد يريدك...

ولي : لا حول ولا... لأرى ماذا يريد أن يتصرف أيضاً؟
(يخرج).

بائع الخضراوات: (للشيخ عاصم) عندي سؤال يا حضرة الشيخ؟

الشيخ عاصم : تفضل...

بائع الخضراوات: ما جزاء من يموت من غير أن ينطق الشهادة؟

الشيخ عاصم : أعوذ بالله... يموت كافراً...

بائع الخضراوات: تفو... يا حرام على سيدنا...

الشيخ عاصم : لم؟

بائع الخضراوات: أتذكر الفتاة التي أتت قبل قليل؟ لقد كانت

إلى جانبه عند وفاته، وقد سألتها هل تشهد السيد

علانية؟ فأجبت أنها لم تسمع شهادته...

الشيخ عاصم : أصلاً إن بصيرة النساء في مثل هذه الأحوال لا تكون صحيحة... لا بد أن المرحوم كان قد تشهد في أعماقه، وهذا لا تسمعه كل أذن... هذا يكون معروفاً فقط من جناب الحق، والذي سلم روحه...
(يدخل ولي أفندي، وييده عدة قبعات).

ولي : أخيراً هذا ما كان ينقصنا...

الشيخ ١ : وما هذه؟

ولي : قبعات المرحوم...

الشيخ عاصم : سبحان الله...

ولي : لقد طلب السيد أن نضع إحدى هذه القبعات على رأس التابوت... لقد كان في القديم يضع طربوشاً...

الحارس : ولكنني لم أر تابوتاً ذا قبعة...

ولي : إن لم تر، فسترى الآن (يعطيه قبعة) جرب هذه يا بابا الحارس (الحارس يضع القبعة على رأس التابوت) لا... لا... إنها لا تليق (يعطيه قبعة أخرى من القش) جرب هذه أيضاً.

(الحارس يضع قبعة القش)، (وهذه أيضاً لا تصلح
يعطيه قبعة أسطوانية الشكل).
لنجرّب هذه (يضع القبعة المدورة) هه... هذه جيدة،
ولكن أرجعها إلى الخلف قليلاً...
لقد كان المرحوم يلبس هذه متفاخراً بها كالعاشق.
(يذهب نحو القبعة، ويركزها، ثم يبتعد، ويتأملها)
هه... هكذا... لقد أصبح الآن، وكأنه هو...

نهاية الفصل الثاني

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة الأحذب... الوقت ليل... المصباح مضاء... الأحذب
يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً... يسمع صوت حاك يأتي من البعيد...
ظل الأحذب يتراقص على الجدار يكبر، ويصغر... ضوء القمر
ساطع في الخارج... الأحذب يذهب إلى النافذة، ويغلقها... ينقطع
صوت الحاكي... يقرع الباب).

الأحذب : ادخل

(يدخل فيروز ومليح... مليح سكران).

فيروز : (للأحذب) لقد أحضرت لك ابن عمي مليح...

الأحذب : تفضلاً...

فيروز : أنا لن أبقى، أما مليح، فسيبقى... لقد حضر المراسم

اليوم و...

الأحذب : أشكرك...

مليح : على أيّ حال يا سيدي مهما يكن نحن أقرباء
يا سيدي...

فيروز : إن مليح فيلسوف، ومحرر أيضاً... إنه كل شيء...
وهو قبل كل شيء (بالفرنسية) بون جارسون...

مليح : هيء... (يتتبع)

فيروز : سأذهب إلى مَنْ في الأسفل... تحدثا بما تشاءان...
سأتي، وأخذك فيما بعد يا مليح.

(الأحدب في حيرة... يخرج فيروز... يخرج مليح
سيجارة)

مليح : (للأحدب) ألدريك عود ثقاب؟

الأحدب : (يأخذ من فوق الطاولة علبة الثقاب، ويشعل) تفضل...

مليح : (يقدم سيجارة للأحدب) ألا تدخن؟

الأحدب : كلا... أشكرك...

مليح : يجب أن تدخن يا عزيزي... يجب أن تدخن...

السيجارة نوع من التسلية... لقد تعرفت عليها في
يوم عصيب... في يوم لا يمكن نسيانه، ثم أصبحت
ملهوفاً بك .

الأحدب : سيدي...

مليح : نعم... لقد تعلق بك... الموت لا يظهر على وجه أحد، ولكني استلهمته من وجهك لقد كنت تسير خلف الجنازة بطلاً حزيناً، كنت قربان ملاك الموت...

الأحدب : كنت أحب أبي...

مليح : إن حب الوالد مغروز في قلوبنا منذ الصغر... لقد أمني حالك كثيراً... صدقني أنا أقول الحقيقة وبلا مجاملة... إني أعترف لك رغم كل سيئاتي... لقد دخلت إلى هذا البيت من أجل أخذ ليرتين فقط من فيروز، وها أنا اخرج الآن من بيت الميت نظيفاً، وخالياً... هل أنت شاعر؟

الأحدب : كلا...

مليح : يا حرام... إن روح الشعر ستجعلك طائراً في جوانبه الثمانية، وسيهاجر بك بنعومة ولين، وينقلك بسهولة إلى الحقيقة... كان يجب أن أتحدث معك... تعذبت كثيراً... كان ضرورياً البقاء معك الليلة... لقد تعذبت كثيراً في إقناع فيروز من أجل هذا اللقاء... ربما أنا الآن

سكران قليلاً... نعم أعترف أنني سكران ولكن أنت
عالم... أوووف... الجو هنا حار جداً...

الأحدب : هل أفتح النافذة؟

مليح : (يجلس على المقعد) افتح... لنكن أكثر قرباً من
الهواء...

(الأحدب يفتح النافذة).

الأحدب : لقد كان صوت الحاكي يعلو من بيت الجيران...

مليح : أجل... الإنسان لا يعرف الصمت أمام الموت...
الموت هو أكبر صمت، ولكي نفهم الموت بكل عظمته
يجب أن نلتزم الصمت... يجب أن تضع رأسك بين
يديك، وتسكت... الموت (يصنع وجهه فجأة)
بعوضة... يبدو أن المكان مملوء بالبعوض.

الأحدب : أجل...

مليح : هل تعرف أنني من حين لآخر أشعر وكأنني رجل
من العصور الوسطى، وخاصة من عصور إسبانيا
الوسطى... أحمل على كتفي شالاً أسود ناعماً، وأحس
بظل ثقيل فوق عيني... أسير حافي القدمين، وفي يدي

شمعة (يصنع وجهه مرة أخرى) البعوض موجود
هنا بكثرة يا عزيزي...

الأحدب : النافذة مفتوحة، والضوء يسطع في الداخل...

مليح : لنظف المصباح (يظف المصباح) الإنسان يستطيع أن
يعود إلى الماضي، ويتجاوز المسافات بضوء القمر،
وكأنه يركب سيارة، ويبدأ البحث عن خلجات نفسه
المتعبة... في الأيام الأخيرة قرأت كتاباً يبحث في أمور
ما وراء الطبيعة «ميتافيزيك» لقد كان كتاباً قيماً...

(يصنع وجهه مرة أخرى) هل لديك منه؟

الأحدب : كلا... لا...

مليح : أوه... إن عيني تريان في الظلام مثل عيني الأسد...
أليس هو ذلك الموجود في المكتبة؟

الأحدب : أين؟ كلا...

مليح : ربما داخله فارغ... له ظرف، وليس له مظروف... لكنه
موجود هناك... (يضرب بعوضة أخرى على خده)
لو سمحت (يذهب مليح إلى المكتبة، ويأخذ علبة
قاتل البعوض).

مليح : إنها ملأى (يضغط على الضاغط) اعتقد أن رائحتها
لن تزعجك؟ أنا أحب رائحتها كثيراً.

الأحدب : لنغلق النافذة... لن تكون لها فائدة...

مليح : أغلقها (يستمر في الضغط على قاتل البعوض) نحن
أيضاً مثل البعوض... نأتي من الظلمة، ونسرع إلى
الضوء ثم نعود إلى الظلمة... وهو يقتلنا بهذا (يضغط
كثيراً) هكذا (صائحاً) هكذا... هكذا... مع أن مسيرة
الحياة هي أقدس مسيرة... لتمت البشرية طالما أنها
لا تعرف الصمت أمام الموت...

الأحدب : (بخوف) يا سيدي المحترم...

مليح : دعني مرتاحاً... دعني مرتاحاً.

(يبحث في جيوبه عن شيء ما... يقع ظرف صغير
على الأرض... يعطي الأحدب الظرف الذي وقع على
الأرض إلى مilih).

الأحدب : لقد وقع هذا من جيبيك...

مليح : (يأخذ الظرف بيد مرتجفة) الأبيض (يلحس بلسانه
الورقة) اسمعني... الآن، وبعد دقائق سأصمت...

سأعود إلى نفسي... سأنسحب إلى أعماقي... أنا...
أنا... إنني... اسمعني... اسم... الموت.
(يزداد خوف الأحذب... مليح يرمي علبة قاتل
البعوض، ويتهاوى فوق المقعد).

مليح : مرت... أعطني كأساً من الماء (الأحذب يعطيه الماء).

مليح : هل لديك ليرتان؟ (الأحذب يعطيه ليرتين) هذا دين
علي... سأعيده مع الفائدة... لا تقلق سأعطيك...
أنت أيضاً مثل أبيك تتعاطى الربا... أعطني كأساً
أخرى من الماء (الأحذب يعطيه الماء) اسمع... حتماً إن
الموت على شاكلتك... مثلك أحذب... كرهه مثلك...
مثلك... أي أي... هاهاها... هي... اي... (ترتجف
يدها ثانية، ويتهاوى على الطاولة).

(يزداد خوف الأحذب، وتنفجر عيناه عندما يتهاوى
مليح، ويسرع نحو الباب، فيصطدم بمقعد مليح،
فينقلب مليح على الأرض).

الأحذب : (يلتفت بدهشة، وينظر خائفاً إلى الخلف، ثم يفتح
الباب) أماه... أماه (يبقى ملتصقاً بالباب).

والدة الأحذب: (تدخل مضطربة) ماذا هناك؟ ماذا يحدث لك؟

الأحذب: انظري...

والدة الأحذب: ومن يكون هذا؟

الأحذب: السيد مليح.. قريب فيروز...

والدة الأحذب: أشعل المصباح.

(الأحذب يشعل المصباح).

والدة الأحذب: (تميل على مليح) رائحة العرق تفوح منه، مثل

رائحة الجثة النتنة... آه... هذا ما كان ينقصنا...

مصائب على رؤوسنا... من أحضره إلى هنا؟

الأحذب: السيد فيروز...

والدة الأحذب: ليأخذ روحه الإله... ويحدث هذا في يوم كهذا؟

(يبدأ صوتها بالرجفان) يا بني... أنت الآن رجل

البيت... لم تعد طفلاً... إن كنت لا تتألم لحالي،

فكر بوالدك الميت... لقد وضعنا أمانة في عنقك،

ورحل...

الأحذب: أماه...

والدة الأحذب: أنت هنا تتجاذب الحديث مع هذا السكير،
والآخر يتحدث مع مدير المصرف في الأسفل (يرتجف
صوتها) إن فراش والدك العزيز لم يبرد بعد... إنه يفكر
بالمال... ولدي تألم لوضعنا... تألم لحالي، ولأختك...
تألم قليلاً...

الأحذب: وماذا أفعل يا أماه؟

والدة الأحذب: لا أعرف... افعل ما تريد فعله... هيا بنا إلى
الأسفل...

الأحذب: حسن... وهذا؟

والدة الأحذب: دعه يفطس هنا..إنهم يسرقون والدك العزيز،
وأنت هنا؟ (تبكي) هيا بنا...

المشهد الثاني

(الصالون... الأخ الأكبر - والدة الأخ الأكبر - امرأة عجوز
مغطاة الرأس. شمطاء لا تتحدث أبداً).

المدير : نعم يا سيدي...

الأخ الأكبر: هكذا...

(صمت طويل)

المدير : في بعض الأمثال القديمة هناك بعض الحقائق
المتداخلة... يقولون: لا تثق بالدنيا... هذا صحيح.

الأخ الأكبر: نعم...

(صمت طويل)

المدير : لقد استطاعت النوبة أن تسيطر علينا أيضاً...

الأخ الأكبر: صحيح (صمت طويل... يدخل الأحب أولاً
وتلحق والدته به... يقف المدير... والدة الأحب،

ووالدة الأخ الأكبر تتبادلان النظرات).

والدة الأحب: (للمدير) لا تعذب نفسك...

المدير : كوني على ثقة يا سيدتي المحترمة...

الأخ الأكبر: (للأحدب) قبل يد والدتي...

(يجار الأحدب، وينظر إلى والدته، ثم إلى وجه الأخ الأكبر، وبعدها يذهب، ويقبل يد والدة الأخ الأكبر).

المدير : (للأخ الأكبر) يا سيدي في مثل هذه الظروف، فإن الأمور الدنيوية...

والدة الأحدب: لقد هلكتنا يا حضرة المدير...

المدير : إنني أعني جيداً مدى مصيبتكم الكبيرة يا سيدتي المحترمة، ولكن ما ذا نستطيع نفعل؟...

(صمت)

الأخ الأكبر: نعم.

المدير : سيدي المرحوم والدك...

(يفتح الباب... يتوقف المدير عن الكلام... يدخل ولي أفندي).

ولي : معذرة إن أزعجتكم...

الأخ الأكبر: ماذا تريد؟

ولي : كنت أريد أن أعرض مسألة (يقترّب من الأخ الأكبر،
ويهمس في أذنه) كما تعرفون الختامية تقرأ في الداخل،
ولكن الشيخ عاصم، ومريديه... الرز...
الأخ الأكبر : لا تجعلني أبدأ الآن بالشيخ عاصم...

ولي : يا سيدي هكذا هي العادة... يريدون الحلويات
أيضاً...

الأخ الأكبر : اذهب، وافعل ما تشاء... أم إنك تريد أن تُهينني
هنا...؟

ولي : (بصوت عال) هذا كل ما في الأمر يا سيدي...
(يخرج ولي... صمت طويل).

الأخ الأكبر : نعم يا سيدي...

المدير : كما كنت أقول إن سبب استعجالي هو فيما يتعلق
بخصوصية الشرع، وإلا ما كنت تصرفت بعدم
احترام...

والدة الأحدب: أستغفر الله...

المدير : سيدي... إن والدكم، وقبل أسبوع من مرضه، كان قد سحب كل ما استودع لدينا من أموال وحوّلها إلى ذهب... ربما أنت لا...

الأخ الأكبر: هكذا؟

والدة الأحدب: لم أكن أعلم بذلك...

الأحدب : أمر غريب...

المدير : نعم يا سيدي، ولهذا السبب أحضرت معي كشفاً يثبت سير هذه المعاملة... تفضلوا.

(يخرج أوراقاً من محفظته... يتجه الأخ الأكبر نحو المدير).

والدة الأحدب: (للأحدب الجالس إلى جانبها) اذهب، لترى أنت أيضاً.

(يقرب الأحدب، وينظر).

الأخ الأكبر: نعم... هذا صحيح، ولكنني لم أكن أعرف هذا أبداً...

الأحدب : وأنا أيضاً...

المدير : وأنا أيضاً توقعت هذا، ولذلك جئت شخصياً لشرح الموضوع، وتأكيد أن المبالغ حُوِّلت إلى ذهب، وقد طلب منا ألا نحدث أحداً حول هذه المسألة...

الأخ الأكبر: هكذا؟

الأحدب : يا له من أمر غريب...

المدير : ثم يا سيدي إن هذا الأمر من أسرار الوظيفة، وقد قمت ببعض التحريات الخاصة، كي أعرف هل حولت هذه المبالغ بسبب عدم ارتياحه من مؤسستنا؟ ولكنني لم أجد أي تعامل للمرحوم مع أي مؤسسة أخرى...

الأخ الأكبر: في هذه الحالة...

المدير : حتماً هو موجود في مكان ما في هذا البيت...

الأخ الأكبر: أعتقد...

(صمت... يسعل المدير... الجميع يفكرون).

المدير : (يقف) أرجو أن تسمحوا لي يا سيدي، وأرجوكم أن تسامحوني مرة أخرى... مرة أخرى...

الأخ الأكبر: أرجوك يا سيدي... بالعكس... نحن ممتنون لك
كثيراً، لأنك تذكرتنا، ولم تتركنا في ليلتنا المؤلمة هذه
أليس كذلك؟

الأحدب : طبعاً... طبعاً...

(يشيع الأخوان المدير إلى خارج الباب... تبقى
المرأتان وحيدتين... صمت طويل يدخل الأخ الأكبر،
والأحدب... يجلسان... صمت... يأتي صوت القرآن
من بعيد).

الأخ الأكبر: هكذا إذا؟

(صمت)

الأخ الأكبر: ما رأيك بهذه الحكاية يا أمي؟

(والدة الأخ الأكبر لا تجيب... تنظر أمامها، وتسبح
بالمسبحة... صمت... يدخل فيروز مع الفتاة إلى
الداخل، ويجلسان في زاوية... صمت)

الأخ الأكبر: يا سيد فيروز...

فيروز : نعم... سيدي...

الأخ الأكبر: أين ابن خالتك؟ لقد رأيته هنا قبل قليل...

الأحدب: إنه في غرفتي... إنه... (يسكت فجأة).

الأخ الأكبر: (لأم الأحدب) ألم يكن لديك علم بذلك؟

والدة الأحدب: كلا... لم يقل لي شيئاً...

(صمت)

الأخ الأكبر: إذن هو موجود في البيت (صمت) ترى أين وضعه؟

والدة الأحدب: لا أعرف... لم يكن يفتحني بمثل هذه الأمور...

(تبكي... صمت).

الأخ الأكبر: ليس معروفاً من يدخل، ويخرج من هذا البيت...

أين مفاتيح الطابق العلوي؟

والدة الأحدب: عندي...

(صمت طويل)

الأخ الأكبر: أعطني...

الأحدب: لماذا؟

(صمت)

الأخ الأكبر: لنذهب معاً... (لوالدته) انتظريني هنا يا أماه
(للأحدب) تعال أنت أيضاً إن أردت.

والدة الأحدب: تعال يا بني... (تبكي).

(يخرجون... صمت طويل).

الفتاة : (تبكي) أبي... أبي العزيز... (تلقى بنفسها على ركبة
فيروز).

والدة الأخ الأكبر: (تنظر باشمئزاز إلى فيروز، والفتاة، تسبح
بالمسبحة) ذو الجلال... ذو الجلال ذو الجلال...

المشهد الثالث

(الغرفة الأولى... الأخ الأكبر يسير في المقدمة، وبيده شمعة،
وخلفه والدة الأحدب، وبجانبيها الأحدب).
الأخ الأكبر: لا أعتقد أنه سيضعه هنا...
الأحدب : أتريد أن القي نظرة تحت الطرحة؟
الأخ الأكبر: أنا سأنظر...
(يذهب الأخ الأكبر، وينظر).
والدة الأحدب: (للأحدب) ماذا يحدث لك؟ ألم يبق أحد غيرك
يرشده؟
الأخ الأكبر: (ينتصب فجأة، ويتحدث مع الأحدب، ووالدته)
عمّ تتحدثان؟
والدة الأحدب: لا شيء...
الأخ الأكبر: هكذا؟
(صمت... يتناهى طويلاً مواء قطة متألّمة).

الأحدب : (خائفاً) أماه؟ ...

الأخ الأكبر: ماذا حدث؟

الأحدب : لا شيء.

الأخ الأكبر: لا يوجد هن...

(يسير الأخ الأكبر، ويلحق به الأحدب ووالدته).

المشهد الرابع

(الغرفة الثانية... الظلام يخيم على الغرفة)

والدة الأحدب: مضت سنوات لم يصعد إلى هنا...

الأخ الأكبر: (يشتهه بالأمر) هكذا؟ (يتوقف) إن سمحت، فإنني

سألقي نظرة داخل هذه الخزانة (يتوقف) ممكن؟

(يتوقف) هل أنظر؟

والدة الأحدب: (ببكاء) انظر...

(الأخ الأكبر يقلب ما في الخزانة... يمد الشمعة إلى

الأحدب).

الأخ الأكبر: أمسك هذه...

(يمسك الأحدب الشمعة).

الأخ الأكبر: لا يوجد شيء (يغلق باب الخزانة بقوة).

(عند إغلاق باب الخزانة بقوة تنطفئ الشمعة الموجودة

بيد الأحدب).

الأحدب : (بخوف) آه؟.

والدة الأحدب: (باضطراب) أشعلوا الشمعة... الشمعة...
الكبريت...

الأخ الأكبر: (يخرج الكبريت... للأحدب) أعطني هذه (الأحدب
يعطيه الشمعة، فيشعلها الأخ الأكبر) لم اضطرابكما
هذا؟ أتخشيان خفة اليد، وأن تخسرا حقيكما؟...
(يتوقف... للأحدب) اذهب، وأحضر لنا مصباحاً
(يخرج الأحدب).

(صمت طويل)

الأخ الأكبر: (لأم الأحدب) لا تقلقي أبداً يا سيدتي المحترمة...
ستأخذين أنت، وابنك، وابنتك حصتكم حتى آخر
قرش...

والدة الأحدب: (تصرخ فجأة) لم سأقلق؟ نحن لا نعيش في رأس
جبل... هناك محكمة...

الأخ الأكبر: هكذا؟

(صمت... يدخل الأحدب، وييده مصباح)

الأخ الأكبر: (للأحدب) إن أمك ستقدمني إلى المحكمة...

الأحدب: أماه؟

والدة الأحدب: أنا لم أقل شيئاً كهذا... كذب...

الأخ الأكبر: أنا لا أكذب... هل فهمت؟

(صمت)

الأخ الأكبر: (للأحدب) هيا بنا...

(يخرج الأحدب أولاً، وتلحق به والدة الأحدب ثم

الأخ الأكبر).

المشهد الخامس

(الصالون... والدة الأخ الأكبر... الفتاة... فيروز).

الفتاة : (تقترب من فيروز، وتتحدث معه بصوت خافت
عن والدة الأخ الأكبر) إنني أخاف من هذه المرأة...
أخاف كثيراً يا فيروز...

فيروز : تكلمي بصوت منخفض... قد تسمعك... هل جننت؟
ما الذي يخيفك؟ إنها امرأة كبيرة... إنها (بالفرنسية)
فياي فام...

الفتاة : لا أعرف... إني خائفة (صمت... يأتي صوت القرآن
من بعيد... يدخل الأحذب وأمه والأخ الأكبر إلى
الداخل).

الأخ الأكبر: (لأمه) لقد بحثنا في كل مكان، ولكن لا يوجد شيء
يا أماه (الأم لا تجيب... تبسم ابتسامة خفيفة).

فيروز : (يهمس في أذن الفتاة) هه... انظري لقد ضحكت...
(صمت)

الأحذب : ماذا سنفعل؟

الأخ الأكبر: ألهذا الحد تقلقك ذهبيات أبيك؟
الأحدب : ولكن يا أخي ... (يسكت فجأة...صمت)
الأخ الأكبر: زهره... (صائحاً) يا زهرة...
الخادمة : سيدي...
الأخ الأكبر: اذهبي، ونادي ولي أفندي...
الخادمة : حسن يا سيدي...
(تخرج الخادمة... صمت... يسمع طويلاً صوت
مواء قطة متألمة).
والدة الأخ الأكبر: (بصوت عال) ذو الجلال... ذو الجلال
(تخفض صوتها) ذو الجلال... ذو الجلال.
(صمت)
الأخ الأكبر: (لفيروز) هكذا يا سيد فيروز... لقد ضاعت ثروة
عمك في هذا البيت...
فيروز : (بالفرنسية) انتر رسان...
(صمت... يدخل ولي أفندي).
الأخ الأكبر: (لولي أفندي) هيا... اذهب بسرعة إلى القسم،
واطلب من القوميسير أن يأتي إلى هنا...

ولي : (يضطرب قليلاً، ثم ينظر إلى أوجه الموجودين حوله)
حسن... حسن يا سيدي (يخرج)
والدة الأحذب: وماذا تريد من القوميسير؟
الأخ الأكبر: سترون... (صمت... للأحذب) هل انزعجت؟
الأحذب: أنا؟ كلا...

(فيروز يشرد مفكراً، ويهب واقفاً من الكرسي الموجود
إلى جانب الفتاة).

الفتاة : إلى أين؟
فيروز : لا... أبداً... (يجلس فيروز على مقعد آخر) إذن السيد
الوالد...

الأخ الأكبر: هل هذا الأمر يقلقك أنت أيضاً؟
فيروز : (محتداً) نعم...
الأخ الأكبر: (يضحك بخبث) إذن اصبر، وستفهم الآن؟
فيروز : إنني صابر...

(صمت... يدخل ولي أفندي أولاً، ويتبعه القوميسير)
الأخ الأكبر: (يتقدم من القوميسير) أرجو المعذرة... لقد أقلقنا
راحتك...

القوميسير : أستغفر الله... الحقيقة كنت في طريقي لتقديم العزاء،
وعند الباب التقيت بولي أفندي...

الأخ الأكبر : سيدي القضية هي أن والدي، وقبل وفاته بمدّة،
حول جميع أمواله التي كانت مودعة في المصرف إلى
ذهب، وأحضره إلى البيت...

القوميسير : نعم...

الأخ الأكبر: وفتشنا البيت من الأعلى إلى الأسفل، ولكننا لم نجد
شيئاً... ونحن على ثقة من أنه أحضر الذهب إلى البيت،
ولم يأخذه إلى أيّ جهة أخرى... أرجو منك...

القوميسير : أستغفر الله...

الأخ الأكبر: نريد أن تفتش البيت أنت أيضاً، وأن تقوم بكل
المهام التي تتطلب منك.

القوميسير : حسن... ولكن لدي سؤال، أو سؤالان أريد الإجابة
عنها مثلاً... طبعاً لديكم هنا في البيت خادمة، أو
ما شابه ذلك؟

الأخ الأكبر: نعم... لدينا...

والدة الأحذب: بالله عليك يا حضرة القوميسير...
الأخ الأكبر: لدينا خادمة، وامرأة تدعى عائشة خانم، وطباخ
أيضاً... (صمت طويل)

القوميسير: فيمن تشبهون؟
الأخ الأكبر: فيمن؟ (يتوقف عن الكلام، وينظر إلى وجوه مَنْ
حوله، ثم يتحرك، ويقف أمام والدته) أشكُّ في الجميع
عدا أمي...

والدة الأحذب: هكذا إذن؟
الفتاة: (تبكي) أبي العزيز...
الأحذب: (يقف فجأة أمام الأخ الأكبر) أخي الكبير... (بجراًة)
أنت مجنون...

الأخ الأكبر: أجل أشك في الجميع... في الجميع... أنا أحضر
إلى هذا البيت مرة كل أسبوع (يشير إلى أم الأحذب)
بينما هذه المرأة دائماً هنا «يشير إلى الأحذب» وابنها
دائماً يعيش هنا.

والدة الأحذب: اسكت... (تبكي)

الأحدب : يا حضرة القوميسير قبل كل شيء قم أنت أيضاً بتفتيش البيت، واعلم جيداً حين لا نكون أنا ووالدتي في البيت تكون هذه دائماً إلى جانب والدي... لقد كنا نخرج من غرفة والدي عند دخوله...

القوميسير : أولاً، وقبل كل شيء سنقوم ببعض التحريات.

الأخ الأكبر: تفضل (لوي) أرشد السيد إلى الطريق...

(يخرج القوميسير وولي أفندي... صمت طويل).

الأخ الأكبر: (يقترّب ببطء من الأحدب) إذن أنت تشك فيّ؟

الأحدب : (يتراجع إلى الخلف) نعم...

والدة الأحدب: كما تشك أنت بنا...

الأحدب : هكذا؟

(صمت)

ستقابل...

فيروز : (يقف فجأة) اسمحوالي...

الفتاة : إلى أين تذهب؟

فيروز : (للفتاة) أم إنك أنت أيضاً تشكين بي؟

الحقيقة (بالفرنسية) ساسه شيل...

الأخ الأكبر: اذهب...

فيروز : أنا ذاهب (بالفرنسية) مون شير... ولن أعود ثانية...

الأخ الأكبر: إلى جهنم وبئس المصير...

الفتاة : فيروز...

فيروز : أنتم جميعاً محتلون...

الأخ الأكبر: ماذا؟

الأحدب : هل جنتت يا فيروز؟

فيروز : اللعبة كلها تدور حول الاستيلاء على حقوق شقيقتك

المسكينة... (بالفرنسية) ساسيه شارمان... ولكني لن

أقبل هذا الأمر (بالفرنسية) مون شير...

الفتاة : فيروز...

الأخ الأكبر: استمر... قل ما تريد...

فيروز : ما أريد أن أقول (بالفرنسية) أورفوار... هناك

احتمالان... إما أن المرحوم الوالد قد أفلس ثم توفي،

وانفقتم أنتم مع المصرف على تأليف هذه الكوميديّة،
وإمّا أنكم تريدون أن تخفوا عني كل شيء «أورفوار...
بون أموزمان»... حضرة القوميسير يحاول عبثاً...
(تبكي الفتاة، تذهب الأم إلى جانبها... يخرج فيروز).

صوت فيروز: (من الخارج) مليح... مليح أين أنت؟ هيا بنا...
لنذهب (صمت).

والدة الأحدب: (للأخ الأكبر) رأيت إلى ما فعلت؟
الأخ الأكبر: قولوا أين وضعتم الذهب، وستسوى كلّ الأمور،
ولن تبقى أيّ مشكلة...

الأحدب: هذا السؤال لن تجيب عنه أمي... بل أنت...
الأخ الأكبر: لا تصرخ...

والدة الأحدب: (للأحدب) اسكت يا بني... الخاروف الأبيض
يميز جيداً من الأسود...

(الأخ الأكبر يذهب إلى أمه التي تشير إليه... الأم تقول
شيئاً في أذن الأخ الأكبر).

الأخ الأكبر: (يستقيم عند والدته) لا أظن يا أماه... ولكن ما
دمت تريدين هذا، فسألقي نظرة هناك أيضاً...

(يخرج الأخ الأكبر)

والدة الأحدب: (تتحدث مع الأحدب بصوت منخفض) إلى

أين ذهب؟

الأحدب: لا أعرف...

والدة الأحدب: آه من هذه الملعونة... هيا يا بني (بينما هما يخرجان).

الفتاة : أماه... لا تتركوني... إنني أخاف من هذه المرأة...

(تسرع الفتاة إلى والدتها والأحدب... يخرجون...)

تقف والدة الأخ الأكبر، وتشيعهم بنظراتها).

المشهد السادس

(غرفة الميت... في وسط الغرفة ثلاثة شمعدانات كبيرة
مشتعلة... الشيخ عاصم، والشيخ الثاني، وثلاثة من المقرئين
يقرؤون القرآن... فجأة يفتح الباب، ويدخل الأخ الأكبر...
يتوقف المقرئون الثلاثة عن التلاوة، وينظرون إلى الأخ الأكبر الذي
ينظر في أطراف المكان، ثم يذهب، ويضرب الجدران، ثم يذهب
باتجاه الفراش الموجود في الزاوية، ويحاول رفعه، ولكنه لا يستطيع).
الأخ الأكبر: (للشيخ عاصم) لماذا تنظر؟ تعال، وساعدني...
يقف الشيخ عاصم مضطرباً، ثم يتقدم لمساعدته).

الأخ الأكبر: لا...

الشيخ عاصم: يا سيدي اعتماداً لما سمعت، فإن هذه العادة متبعة
عند اليهود فقط...

الأخ الأكبر: (في حيرة) أيّ عادة؟

الشيخ عاصم: إن روح المرحوم ما تزال في كل ركن من أركان
البيت، ومن المحتمل أن تكون محتبئة في...

الأخ الأكبر: لا تتدخل في أمور لا تعنيك يا شيخ... هيا تابع
عمل...

(تظهر والدة الأحدب، والأحدب عند الباب، وخلفهما
الفتاة).

الأخ الأكبر: ما هذا؟

الأحدب: نحن... نحن أيضاً جئنا...

الأخ الأكبر: يقولون إن القتلة يتجولون دائماً حول مكان الجريمة...
هل ثار فيكم الدم؟

والدة الأحدب: أنت القاتل يا قليل الأدب...

الأخ الأكبر: لن أتدخل الآن في هذه الضجة الباردة (للشيخ
عاصم ومريديه) اخرجوا أنتم إلى الخارج (يشير إلى
الأحدب) ستصلكم الأجور في الغد.. ستقبضونها
من هذا السيد...

والدة الأحدب: ولمن سيدفع ولدي؟

الشيخ عاصم: ولكن يا سيدي... لأكن ترابك... ارحم الفقراء...
الأولاد والعائلة تعيش من هذا المورد...

الأخ الأكبر: لا تتكلم كثيراً... تعال، وخذ منهم...

الأحدب : لن أدفع قرشاً واحداً... تسرق حقوقي وتريد...

الأخ الأكبر: أنا؟

والدة الأحدب: نعم أنت...

الأخ الأكبر: (يدفع والدة الأحدب) ابتعدي أنت (يسير باتجاه

الأحدب) أنا سرقت؟

الأحدب : نعم أنت... أنت...

الأخ الأكبر: هل أمك التي علمتك هذا؟ كيف ستنجون من

يدي؟ لقد جاءت أمك، وسرقت مكان أمي، ثم

اتحدت كلاكما، وسرقتما ذهب والدي (يمسك من

ياقة الأحدب)

والدة الأحدب: (تتقدم منه) اترك ابني أيها الوحش...

(الأخ الأكبر يدفع الأم بقوة، فتدحرج على الأرض...

الفتاة تلقي بنفسها على أمها).

الفتاة : أمي... أمي العزيزة (تصرخ مولولة).

الأخ الأكبر: (ما يزال ممسكاً بياقة الأحدب) هيا قل... أين أخفيتم

الذهب؟ تكلم... تكلم...

(يمدّ يده بحركةٍ سريعةٍ، فيمسك أحد الشمعدانات،
ويرفعه نحو الأعلى).

الأحدب: أنا لم أسرق... أنت السارق...

الأخ الأكبر: اسكت... اسكت... (يهوي الشمعدان بسرعة على
رأس الأحدب).

الأحدب: (خائفاً) أخي الكبير...

الأخ الأكبر: (ينزل الشمعدان على رأس الأحدب) خذ...

الأحدب: (يتهاوى على الأرض) أماه...

(تصرخ الأم... الفتاة تتقدم من الأحدب... في هذه

اللحظة يدخل القوميسير، وخلفه ولي أفندي... نجد

جرة في حزن ولي).

ولي أفندي: لقد وجدنا هذه في البستان... الجرة... (ولي يتتبعه

إلى الواقعة الموجودة أمامه) هه؟

(تقعُ الجرّةُ من حزن ولي، وتتحطّم، وينتشر منها

الذهب).

النهاية

فهرس المحتوى

الصفحة

٧	الفصل الأول
٧	المشهد الأول
١٥	المشهد الثاني
٢٣	المشهد الثالث
٢٨	المشهد الرابع
٣٠	المشهد الخامس
٣٩	المشهد السادس
٤٨	المشهد السابع
٥٠	الفصل الثاني
٥١	المشهد الأول
٦٤	المشهد الثاني
٧٠	المشهد الثالث

٧٧ الفصل الثالث
٧٧ المشهد الأول
٨٦ المشهد الثاني
٩٤ المشهد الثالث
٩٦ المشهد الرابع
٩٩ المشهد الخامس
١٠٨ المشهد السادس
١١٣ الفهرس

ناظم حكمت
(١٩٠٢م - ١٩٦٣م)

- شاعر وكاتب مسرحي ذائع الصيت.

- من رواد تيار الواقعية الاجتماعية.

من أعماله:

- مسرحية الجمجمة، عام ١٩٣٢م.

- ملحمة حرب الاستقلال، نشرت بعد وفاته في عام ١٩٦٥م.

- إنه لشيء عظيم أن تكون على قيد الحياة، يا أخي، نشرت بعد وفاته في

عام ١٩٦٧م.

جوزيف ناشف

- مترجم سوري معاصر.
- عضو نقابة الفنانين منذ عام ١٩٧٠م. بصفة ممثل ومخرج.
- له العديد من المسلسلات التلفزيونية، نذكر منها: رجل الانقلابات.
- أخرج مسرحيات عدة: العسل المسحور، تأليف: عزيز نيسن.

من أعماله:

- قبل أن يذوب الجليد.
- مصنع الأقدام والسيقان.
- يا شار لا يعيش ولا يمكن أن يعيش.

۲۰۲۲م

